



محطات في حياة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر

كمال السيّد





اسم الكتاب: الحسين يولد من جديد

المؤلف: كمال السيد

التدقيق اللغوي: د. قحطان الأسدي

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام ومؤسسة العرفان الثقافية الإسلامية

الإشراف العام لمؤسسة العرفان: الشيخ مهدي البغدادي

الطبعة الثانية: ديسمبر ٢٠٢٠ - جمادى الأول ١٤٤٢ هـ

البريد الإلكتروني لدار الوفاء: dar@al-wafa.net

البريد الإلكتروني لمؤسسة العرفان: al.orfan@yahoo.com



الفهرس

٧	الإهداء
١١	المقدمة
١٦	في البدء
٢٢	الجدور
٢٣	الميلاد
٢٥	الخطوات الأولى
٣٤	الهجرة إلى النجف
٣٧	سنوات العطاء
٤٧	تأملات في سهل صفيين
٥١	محظّات أخرى في العطاء
٧١	لا تلعن الظلام؛ اشعل شمعة!
٧٧	ومشروع آخر
٧٩	لقاء مع محمد باقر الصدر

٩٩	المواجهة الكبرى
١٠٥	الحسين يولد من جديد
١١١	اشتعالات قبيل الغروب
١١٥	الشرارة الأولى
١١٨	الوفود
١١٩	لحظات الغروب
١٢٢	كلمات منقوعة بالنار
١٣٢	هاجس عاشوراء
١٣٧	الأيام
١٤٠	رسالة
١٤٣	لاءات في زمن الذلّ
١٤٨	رؤيا
١٤٩	جريمة في بغداد
١٥٦	زينب العصر
١٦٦	مرثية
١٦٩	بيانات الثورة

الإهداء

إلى شباب الإسلام في كل مكان ..

من أجل أن يبقى الصدر ..

رمزاً للجهاد وطريقاً للحرية ..

هذه الطبعة الثانية أما الأولى فقد تم سحبها من الأسواق

في ظروف ترتبط بأجواء الصراع في أرض المهجر ..

الموت في حياتكم مقهورين

والحياة في موتكم قاهرين

الإمام علي

ما هي الدنيا؟! ..

مجموعة من الأوهام ..

لكن دنيانا أكثر وهماً من دنيا الآخرين

الإمام الشهيد الصدر

يوم وُلد الحسين ..
تدفقت ينابيع الحبّ ..
والأمل والجمال ..
ويوم مزّقت قلبه السهام ..
أدرك الكون معنى الحرّية ..

الحسين يولد من جديد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبلُ:

فالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف
الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد،
وآله الطيبين الطاهرين المعصومين ..

أما بعدُ:

فقد دأبت مؤسسة العرفان ودار الوفاء منذ نشأتها على
تسليط الضوء على ما ينفع مجتمعنا وشبابنا وعيًّا وسلوكًا في
ضوء الطرح الإسلاميِّ المحمّدي الأصيل في بعده الحركيِّ؛

ومن هنا كانت لنا هذه الوقفة مع كتاب (الحسين يولد من جديد)، ليكون لنا سهم في إثارة العقول إلى مواقف رجالات الأمة؛ ومنهم المفكر الكبير آية الله العظمى محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، والذي كان أمة في رجل؛ وقد جذب ذوقنا في التلقي الأسلوب الممتع للمؤلف في رصف الأحداث للمُحتَفَى به، فما أن تقرأ أول السطور حتى تنتهي بك إلى آخرها، بحصافة الأديب، ورؤية الحبيب، ونجابة الأريب ..

ولأن العظماء يستحقون ما يُكتب عنهم؛ لما لسيرتهم العطرة من دروس نافعة، بالقول أم بالفعل؛ ولعل أهمها ما ختم به محمد باقر الصدر حياته القصيرة زمنًا، والطويلة مواقف وعطاء؛ فضلًا عما تكتنزه حياة السيد الكبير محمد باقر الصدر من قيم، ومحاسن خلق، ومعايير تضحية وإيثار للأجيال القادمة،

فلطالما كانت الأجيال تحتفي بعظمتها فهي أجيال حيّة، وتواكب عظماءها في الأفراح والأتراح والبذل والعطاء في سبيل حياة الأمة ووعيتها لقيمتها ودورها في الحفاظ على بيضة الإسلام المحمدي الأصيل ..

أمّا المؤلف فهو صاحب باعٍ طويل في التأليف يغلب على مؤلفاته الأسلوب الروائي القصصي الممتع، ونلمح حضور هذا الأسلوب في كتابه هذا، وهو يصور لنا محطات حياة السيد الصدر تصويراً غاية في الدقة، يحاول أن ينقل المتلقي إلى تلك الأيام كما هي بحماسها وعنفوانها وبمآسيها؛ وقد أجاد في دمج السرد الروائي مع التصوير التاريخي فأخرج لنا كتاباً يشدُّ القارئ ويستهو به بعيداً كلّ البعد عن ذلك السرد التاريخي الجاف.

ولعلّ من أهم الدوافع التي دفعتنا -نحن في مؤسسة

العرفان ودار الوفاء - إلى المساهمة في طبع الكتاب هو الدافع الإحيائي لسيرة العظماء؛ ذلك أن كثيراً من الأحداث والشخصيات عبر التاريخ ضاعت معالمها وملاحمها على الأجيال التي تلتها بسبب عدم تدوين تلك الأحداث وتوثيقها، وإنزالها على الورق لتكون مادة تحت الطلب للمتلقي، مما أدى إلى حرمان المجتمعات من جهود بشرية مهمة أو أحداثٍ تاريخيةٍ ثرة، ولما كان التدوين من أبرز مصاديق الإحياء والحفاظ على الثروة القيمة لشهيدنا الفدّ العظيم فقد كان إحياء ذكره في المجتمع وإيصاله إلى أكبر قدر ممكن من الناس هدفاً من أهداف المساهمة في طباعة هذا الكتاب لعلنا نكون بذلك ممن حفظ للأجيال تجربةً عظيمة خيرةً ينتفع بها كل من أراد الرجوع إليها، ومما زاد في أهمية هذا الدافع الإحيائي عندنا أننا بعملنا

هذا نكون مصداقاً لقول النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهي: «من ورّخ مؤمناً فكأنما أحياه»^(١) ..

مؤسسة العرفان الثقافية الإسلامية

دار الوفاء للثقافة والإعلام

١- راجع: سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٤١ مادة (ورخ).

في البدء

التقيتك مرّتين، مرّة قبل «صفر»، والأخرى بعده ..
وكنتُ يومها في العشرين، وها أنا أطلّ على الأربعين.
ودار الزمن وطوّحت بي الأيام وقد زلزلت الأرض
زلزالها. والعراق الذي كان أرض الخصب والأمل
والحياة ومرفأ الأئمة الأطهار، أضحى أرض الجمر. كل
شيء فيه يحترق. وبدت الأشياء عارية ومقرفة، وقد ذرّ
الشیطان قرنيه يعرّب ويدمّر، ويحيل الأشياء الخضراء
رماداً تذروه الرياح. الآمال .. الأمانى .. الحياة المطمئنة

الآمنة .. كل شيء أضحى هباءً منثوراً.

لن أكون قاسياً أو مجانباً للحقيقة لو قلت إنّ الأمة
في العراق قد ركعت للنمرود، وأن كل المذابح التي
حدثت في العراق لا تمثّل إرادة أمة، وحالة شعب،
وإنّ الدماء التي لوّنت أرض الرافدين ما هي إلاّ صرخة
الضمير المثقل، ولو كانت الحقيقة غير ذلك ما بقيت
وحيداً يا سيّدي؛ لم يبقَ إلى جانبك أحد حتى من
أهل بيتك إلاّ آمنة، وقد تشرّبت «زينب»، بعدما رأّت
فيك ملامح الحسين. ولكن الأوغاد الذين عضّوا أنامل
الندم لأنّهم لم يقتلوا زينب يوم عاشوراء، قتلوا «آمنة»
من أجل أن تبقى ثورتك دون صوت.

أجل يا سيّدي .. التقيتكَ مرّتين؛ مرّة قبل «صفر»
وما أزال حتى اليوم أحسّ دفء نظراتك الحانية. بريق
عينيك يتألّق فيه الحسين، وكان هذا مصدر عظمتك؛

فالذين كانوا يحجّون إليك لم يقرأوا «فلسفتنا» أو «اقتصادنا». لقد غرقوا في شواطئ روحك العظيمة وقلبك الكبير.

أجل يا سيّدي .. التقيتك مرّتين؛ مرّة بعد «صفر» وما أزال أتذكّر دفء الكلمات وعمق الحروف، وأنت تحتلّ زاوية صغيرة في مكتبتك؛ والذين جلسوا في حضرتك لم يدركوا بعد أنك ستحتلّ التاريخ.

ما زلت أتذكّر ذلك المشهد المحفور في ذاكرتي، ما يزال وجهك المضيء ماثلاً أمامي رغم ضباب الأيام وغبار السنين.

ما زلت أتذكّر سيل الأسئلة التي أعدها طالب جامعي .. وكانت أسئلة مصيرية حسّاسة يتهيب الكثير الإصغاء إليها خوفاً وعجزاً، وكنت وحدك الذي يصغي ويحيب دون عجز أو وجل ..

سأل الطالب عن أوراق اليانصيب، وأن لها غايات سامية فلم تحرمها؟! فقلت: إن الغايات السامية تلزمها وسائل سامية.

وسأل الطالب عن اللحوم المستوردة فأجبت بحرمتها رغم «العيون الزجاجية».

وسأل الطالب مرّة أخرى عن مجتمع الجامعة فقال: نحن يا سيّدي طلاب وطالبات في الجامعة ونحن ملتزمون بالدين، فانبثق تعريف للمجتمع الإسلامي بأنه مجتمع مختلط ولكنه ملتزم فما هورأيكم؟

وسكّت هنيهة يا سيّدي ثم انسابت كلماتك هادئة. ما زلتُ أتذكّرها بعد عشرين سنة.

فقلت يا سيّدي ما لا أنساه: إنّ الاسلام لا يقف موقفاً حدّياً من مسألة الاختلاط، ولكنه يأخذ بنظر الاعتبار عدم الاختلاط ما أمكن. إنني أسجّل هذه للذكرى فقط؛

لأنّي وعندما ودّعتك يا سيّدي تخطفّفتني الكلاب .
 اقتادوني إلى أقبية التعذيب في بغداد .. سألوني عنك
 .. إنهم يخشونك .. يخشون بريق نظراتك لأنّها ترنو
 إلى المستقبل .. يخشون قلبك لأنه قنبلة موقوتة ربما
 تنفجر في أية لحظة فتحيل قصورهم وعروشهم هباءً
 منثوراً.

عذبوني يا سيّدي لأنّي التقيتك مرّتين .. سألوني
 من أقدّ، فقلت غيرك، ولو قلت أقدّ الصدر لقتلوني .
 العالم يا سيّدي لن يصدّق محنتك .. لن يصدّق
 الأهوال التي مرّت على عينيك، ولهذا ستبقى
 مجهولاً، فالجيل الذي سيدرك سرّك ما يزال في رحم
 الأيام .. عذراً يا سيّدي، أنا لا أريد أن أؤرخ لك .. أنا
 أؤرخ لنفسي، فالتاريخ يخصّ الموتى، أما أنت فقد
 التحقت بالقافلة .. قافلة الحسين؛ والذين انطلقوا مع

الحسين لن يموتوا.. لقد حطّموا قضبان الزمن الصدئة،
واكتشفوا سرّ الخلود.

كمال السيّد

الجدور

غصن في شجرة معطاء أصلها ثابت وفرعها في
السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها.

جدّه الحسين، والدماء القانية التي لوّنت الأرض
في لحظة عاشوراء تسري في عروقه؛ وللحسين سرّ في
أعماق الصدر غير فصيلة الدم ولكنها الثورة الكامنة
فيه، وفي ذلك التصميم الملحمي على الشهادة ..
على الموت من أجل الحياة .. من أجل الخلود.

هو غصن من شجرة سماوية، والذين دقّقوا في
حنايا التاريخ .. في زواياه المظلمة لا بدّ أن تستوقفهم
شمعة تتوهج؛ فعلى شواطئ المتوسط من أرض تركيا
وفي سنة ٩٦٥ هـ سقط أحد أجداده صريعاً مضمخاً
بالدماء، فقد اغتالته اليد السوداء على نحو مؤسف^(١)

١- الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي، استدعي إلى اسطنبول في

دون ذنب سوى الرأي والفكر والعقيدة.

هذه جذور الصدر .. بعيدة الغور .. شجرة معمّرة
تقاوم عواصف التاريخ ورياح الزمن.

الميلاد

في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة
عام ١٣٥٣ هـ. أطلّ الوليد المبارك على الدنيا في
«الكاظمين» على شواطئ دجلة، عندما يخترق النهر
بغداد.

ويمرّ عامان ونصف فيسدّد القدر أولى ضرباته
القاسية.

عهد سليمان القانوني وتمّت تصفيته على شواطئ البحر قريباً من العاصمة
على نحو مأساوي يدعوللتساؤل حول الأسباب التي دفعت العثمانيين
إلى التخلّص منه. ويمكن الإشارة إلى شخصية الشهيد الفدّة والتي تدين
بالولاء لأهل البيت عليهم السلام وفي هذا ما يهدّد الخلافة العثمانية التي تستند في
شرعيتها إلى قاعدة مذهبية مخالفة.

كانت سنة ١٣٥٦ هـ. علامة محفورة في ذاكرة
الصبي، فقد ابتسم لأنه رأى إلى جانبه أختاً سترافقه
الدرب حتى النهاية.

أجل مرّ عامان ونصف، فابتسم الصبي لحظة،
ليحزن الدهر كله.

فجأة يختطف الموت أباه العظيم. غابت الشمس،
فالدنيا برد وصقيع .. لقد انهض العمود فتهاوت الخيمة
خاويةً على عروشها.

وأصعب ليلة في الدهر ليلة يتيم ينتظر عودة أبيه فلا
يعود. ها هي الأسرة الصغيرة تمضي الليل دون طعام ..
دون عشاء. وتعلم الصبي أول دروس الحياة .. فالحياة
مدرسة تعلم المرء كل شيء. يكفي أن تفتح عينيك ..
أن ترهف سمعك لترى الأشياء على حقيقتها.

تعلم الصبي الطهر أول ما تعلم من دروس الحياة ..

تعلم أن يكون نظيفاً طاهراً كقطرة الندى تتألق في ضوء الشمس. وأصعب شيء على الفقير أن يبقى نظيفاً كأنني به يقول: إذا كان ثوبك وحيداً فلا ينبغي أن يكون قدراً.. إن نظافة الثوب الوحيد من أنبل جهاد الفقراء. فإذا كُتِبَ عليك أن تكون فقيراً فحاول أن تكون شريفاً. وتعلم الصبي الصبر حتى تعود مذاق الحنظل. تعلم الطهر والصبر وعلمهما.. علم «آمنة» درسين من دروس الحياة.. وكانت أخته رمزاً للطهر ومثالاً في الصبر.. كانت زينب هذا العصر المتوحش.

الخطوات الأولى

وتمرّ الأيام ويتدفّق نهر الزمن؛ تتدافع أمواجه غير آبه بهذا أو بذاك.. وباقر الصدر الآن في الصفّ الثالث الابتدائي في مدرسة منتدى النشر ينطلق كل يوم إلى مدرسته ينهل العلم والمعرفة ويتشرب ثقافة

عصره .. والتاريخ في غفلة عن تلك اللحظات .. عن تلك الحقبة الحافلة التي صقلت عبقريةً كامنة في الأعماق .. حتى إذا دَوَّتْ عبقريته عاد التاريخ القهقري يبحث هنا وهناك عن البدايات .. عن البذرة والموسم والحصاد .. يضيء شمعةً هنا ويسرج قنديلاً هناك.

والتاريخ ذاكرة الجنس البشري .. ذاكرة شيخ غارق في السنين والحوادث، وأنى له الالتفات إلى صبي صغير في سيمائه ملامح النبوات وعنقوان الرسالات.

باقر الصدر في الصف الثالث، ينطلق كل يوم إلى مدرسته «منتدى النشر» ليكون أول الداخلين .. يلج الصف كأنه يلج معبداً .. وينظر إلى معلمه بخشوع المريرين.

كان مثلاً في أدبه وفطنته وذكائه .. بذرة تنطوي على سرّ شجرة معطاء وعقل يكتنف سرّ عبقرية سيكون لها

شأن، وأي شأن.

وها هو التاريخ يعود القهقري .. إلى الورا، ربّما
أربعين سنة أو تزيد. لنرى كيف يضغط على جبينه
.. يعتصر ذاكرته ليضيء شمعة تلقي ولوبصيصاً من
الضوء على طفولة تحمل جذوة من أسرار الرسائل،

أرهف سمعك إلى زميل له في المدرسة^(١) وهو يللم
خيوط زمن بعيد علّه يفلح في نسج مشهد من تلك
الطفولة المشرقة.

جمعتني وإياه مدرسة واحدة .. كان حينها في
الصف الثالث الابتدائي .. أما أنا فكنت في السنة
النهائية من هذه المرحلة الدراسية.

وطبعي أن لا يكون بيننا اتصال مباشر .. ومع
كل ذلك فقد لفت انتباه الجميع، وكان محطّ أنظار

١- محمد علي الخليلي

التلاميذ صغاراً وكباراً، كما كان موضع احترام معلّميه. كانت له شخصية تفرض وجودها، وسلوك يحمل المرء على احترامه.

كنا نعرف عنه أنه مفرط في الذكاء، متقدّم في دروسه تقدّماً ندر نظيره.. يبرز فيه زملاءه كثيراً.. وما طرق أسماعنا أن هناك تلميذاً في المدارس الأخرى يبلغ بعض ما يبلغه من فطنة وذكاء، لهذا اتخذته معلّموه نموذجاً للطالب المجدّد والمؤدّب والمطيع.

وكان بعض التلاميذ يتأثرون به إلى الحدّ الذي يجعلهم يقلّدونه في المشي والحديث والجلوس في الصف، علّهم يظفرون ولو بجزء يسير من الإعجاب والاحترام.. وله في تواضعه الجمّ هيبّة في النفوس.. فلم يكن أحد ليبدأه الحديث إلا إذا شعر المتحدّث برغبته في الحديث أو يكون هو البادئ.

إنّ في أعماق هذا الصبي قبس من روح النبّوات
في ذلك التواضع السماوي الذي يزيد المرء هيبة في
النفوس ومنزلة في القلوب.

كان عطوفاً على من هو أصغر منه، ومؤدّباً أمام من
يكبره سنّاً. كانت له في المدرسة زاوية ينفرد بها حتى
أضحت مكاناً له لا يجسر أحد على الاقتراب منها..
فاذا انفرد تحلّق حوله زملاؤه، ويتحول التلميذ الصغير
إلى معلّم كبير.. معلّم له سحره في النفوس وتأثيره في
الأرواح..

فلواقتربت من تلك الحلقة العجيبة لوجدت ذلك
الصغير الكبير يتحدث عن أشياء عجيبة لا يطرقها إلا
الكبار.. وها هو ابن التاسعة يتحدث عن الماركسية،
والإمبريالية والديالكتيك.. ويتطرق في حديثه عن
عباقره غابرين «فكتور هيغو» أو «جوته» وغيرهما من

عمالقة التاريخ الإنساني، ولم يخطر على بال الذين كانوا يصغون إليه، ولعلّه هو أيضاً، لم يفكر أنه سيكون قمّة شامخة أين منها «هيجو» و«جوته» وكل عمالقة العصر الحديث.

ها هو التاريخ يجود، فيشعل شمعة يعتصر ذاك رته فلا تسعفه إلا بومضات أشبه ببروق سماوية تشتعل وتنطفئ أمام عبقرية مبكرة وإرادة ستغير في مسار التاريخ ليكون هو بدايةً لمنعطف حادّ في المسار الخالد.

أرهف سمعك مرة أخرى واصغِ إلى ما يقوله معلم له شهد تفتّح تلك الشخصية على الحياة والفكر والدينا:
«كان طفلاً يحمل أحلام الرجال، ويتحلّى بوقار الشيوخ.. وجدتُ فيه نبوغاً عجبياً وذكاءً مفرطاً، وكان كلّ ما يدرّس في هذه المدرسة من كافّة العلوم دون

مستواه العقلي والفكري .

كان شغوفاً بالقراءة .. لا تقع عيناه على كتاب إلا وقرأه وفقه محتواه، وما طرق سمعه اسمُ كتاب في أدب أو علم أو اقتصاد أو تاريخ الا وسعى إلى طلبه».

جاء يوماً إلى أحد معلميه، وقد اجتاحتته رغبة عارمة في سبر غور الماركسية يقرأ نظرياتها ونظرتها للإنسان والطبيعة والكون .. ويتردد المعلم، يخشى على هذا الصبي من مزلقها أن تهوي به إلى الحضيض والقرار، وبعد إلحاح وإصرار وجد المعلم نفسه أمام إرادة عجيبه، فراح يهيئ له كتباً ومجلات كانت في تلك الحقبة مثل الكبريت الأحمر.

وراح الصبي يغوص في اللجج العميقة ويطلب المزيد، وظنّ المعلم بعد أن جلب له أمهات الكتب التي تشرح نظرياتها أنّ هذا الصبي سوف يقف أمامها

حائراً لا يفقه منها شيئاً، فهو نفسه وقف عاجزاً عن فهم دقائقها .. وإذا بالصبي يعيد له الكتب بعد أسبوع، ولعلّ المعلّم قد ظنّ للوهلة الأولى أن الصبي قد اصطدم بجدار صخريّ أصمّ، فأعاد الكتب فإذا به قد أحاط بها علماً وراح يشرح ما خفي على معلّمه منها. ووقف المعلّم -ربّما لأول مرّة- أمامه مذهولاً يتأمّل المعجزة مبهوراً.

كان معلموه يتوجّسون خشية أن يقتله الذكاء المفرط.

وكان يؤمّ التلاميذ في الصلاة خاشعاً لله خشوعَ الزاهدين الذين عافوا الحياة ونبذوا الدنيا، وربما اعتلى المنصة خطيباً تنساب كلماته مؤثرة في فصاحة وورصانة.

قال له معلّمه يوماً وقد بهرته عبقرية مبكرة: سيأتي

اليوم الذي نهل فيه من علمك ونهتدي بأفكارك
وآرائك.

فأجاب الصبي العظيم وقد اصطبغت وجنتاه
بحمرة تنم عن أدب وحياء عظيمين: عفواً أستاذ، فأنا
لا أزال وسأبقى تلميذكم وتلميذ كل من أدبني وعلمني
في هذه المدرسة، وسأبقى تلميذكم المدين إليكم
بتعليمي وثقيفي.

وكان إلى جانب دراسته في المدارس العصرية قد
طوى شوطاً مهماً في دراسة العلوم الدينية في مناهجها
السائدة يومذاك، وربما تغيب عن الحضور في مدرسته
في بعض الأيام لاشتغاله في تحصيل العلم والمعرفة.
وكان أستاذه الأول أخوه إسماعيل الصدر الذي شهد
تفتح نبوغه وبداية انطلاقته.

فقد درس وهو في الحادية عشرة من عمره علم

المنطق وسبر غوره، حتى أُلّف رسالة سجّل فيها بعض اعتراضاته في مسائل منطقية .. ودرس في الثانية عشرة من عمره علم الأصول لدى أخيه، وكان يعترض على بعض ما يرد في كتاب (معالم الأصول) وهي اعتراضات لم يكن يكتشفها سوى علماء لهم وزنهم وعمقهم.

الهجرة إلى النجف

تبقى الهجرة في التاريخ الإنساني واحدة من أهم الظواهر التي ارتبطت بالإنسان منذ ظهوره، وهي العامل الأساس والمؤثر في انتشار الجنس البشري، بل وفي قيام حضارات ودول، كما هو الحال في انطلاق حضارة الإسلام إثر هجرة النبي من مكة إلى يثرب حيث بدأ التاريخ الإسلامي الذي اتسم بميسم الهجرة.

وتبقى البواعث الاقتصادية والقهر السياسي

والاجتماعي وراء أغلب الهجرات في التاريخ، إضافة إلى الهجرات القسرية، وهي في الحقيقة لا تمتلك مقومات الهجرة بل هي في واقع الحال لصوصية على نطاق واسع.. ولعلّ مصداقها الوحيد ما قام به الغرب من عمليات الخطف في أفريقيا لملايين البشر في واحدة من أبشع الحوادث في التاريخ البشري.

وهناك في تاريخ الشيعة ظاهرة تستحق التأمل، منذ سقوط بغداد في أيدي السلاجقة ونشوء المدن العلمية إثر هجرة فردية أو جماعية.

ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم نشاهد بوضوح أن الهجرة لطلب العلم هي وراء تمدد تلك المدن وتجذّر الحالة العلمية فيها، وهي أيضاً وراء نبوغ معظم عباقرة الفكر الشيعي.. ولقد كانت هجرتهم خالصةً لله ولدينه متحمّلين مشاقّ الغربة وشظف العيش، لا لشيء إلا

استجابة لنداء يضحّ في الأعماق.

في عام ١٣٦٥ هـ غادر محمد باقر الصدر مدينة الكاظمية إلى النجف الأشرف وتلمذ لدى علمين من علمائها وهما:

- السيد أبو القاسم الخوئي.
- الشيخ محمّد رضا آل ياسين.

امتدت فترة دراسته في النجف مدّة عشرة سنين، وهذه المدّة وإن بدت قصيرة نسبياً ولكن المهاجر الذي يتوقد ذكاء وعبقريّة كان يستثمر من يومه ست عشرة ساعة في الدراسة والبحث والتحقيق.

وإذا كان التقليد للأعلم هو قدر كل المنتسبين للمذهب الإمامي سواء العلماء منهم والبسطاء، فإن محمد باقر الصدر هو الاستثناء الوحيد، فهو لم يقلّد أحداً من العالمين، وإذا كان قد قلّد آل ياسين فقد

كان ذلك في صباحه إذ لم يصل سنّ البلوغ بعد.
 ورحلته العلمية لم تكن اجتراراً للعلوم ولا تراكماً
 للمعرفة والثقافة بقدر ما كانت تفاعلاً كيميائياً مَوْظَفاً
 العناصر الخام لميلاد شيء جديد لا ينتمي إلى ما
 سبقه إلا في الجذور فقط.

كانت رحلته مع العلم إبداعاً واكتشافاً، وكان يفجر
 ينابيع المعرفة تفجيراً فتسيل أودية بقدر.

سنوات العطاء

كانت «فدك في التاريخ» باكورة أعماله التي فاجأ
 بها عصره، وكان عمره يومذاك سبعة عشر عاماً. على
 أن المقدمة تشير إلى أقلّ من هذا العمر بكثير. وقد
 يتساءل المرء لماذا فدك؟ وهي مشكلة تاريخية حول
 قرية صغيرة في الحجاز؟

ولكن من يتأمل في حيثيات هذه القضية وملفاتها التاريخية المعقدة لابدّ وأن ينظر بإجلال إلى هذه الكتيب المحدود في أوراقه والواسع بأفكاره ومنهجه في دراسة واحدة من أعقد معضلات التاريخ والتي ما تزال تثير أسئلة عديدة.

فدك لم تعد تلك القرية الصغيرة في قلب الحجاز .. لقد أضحت رمزاً لكل الأرض الإسلامية .. فهي لدى «الصدر» تمتد .. كما عبّر عن ذلك جدّه .. «الكاظم» من عدن إلى سمرقند .. إلى أفريقيا .. إلى سيف البحر، مما يلي الجزر وأرمينيا .. ومشكلة فدك في التاريخ التي حدثت في غمرة التحولات الهائلة التي أعقبت رحيل الرسول الأكرم ﷺ ما تزال إلى اليوم مشكلة تواجه المنهج التبريري لتاريخ صدر الإسلام بأسئلة محيرة.

والجدير ذكره هنا أنّ المؤلف وبالرغم من كتابته

للموضوع وهو في فورة الشباب إلا أنه كان يجسد
 أسمى صيغ التعامل الرفيع مع رجالات العصر النبوي
 وهو أدب ظل يطبع كل فصول حياته القصيرة حتى
 استشهاده.. وإذا علمت أن هذا السفر لم يستغرق من
 الوقت سوى فترة العطلة الدراسية أدركت آية عبقرية
 مخزونة في أعماق هذا الإنسان.

ومن «فدك في التاريخ» إلى «فلسفتنا» الذي أحدث
 دويًا كبيراً في الأوساط الفكرية، حتى يمكن القول إنه
 قلب موازين القوى. إذا صح التعبير. لصالح الإسلاميين
 الذين بدأوا مرحلة الهجوم بعد أن ظلوا في مواقع الدفاع
 سنين طويلة.

والذين عاشوا حقبة الصراع الفكري المريرة في
 العراق يدركون ماذا فعل «فلسفتنا» و«اقتصادنا» في
 معادلات الصراع آنذاك.

إن المرء ليحس حرارة إيمان هذا الإنسان من انتخاب اسم الكتاب .. إنه اعتداد بالنفس وبالشخصية التي تستمد من الإسلام مقوماتها وبناءها، وكان الشهيد العظيم بصدد إصدار كتاب آخر هو «مجتمعنا» ولكن القدر لم يمهل.

ومع كل هذا الدوي الذي أحدثه الكتاب، فإننا نصغي إلى كلمات تنم عن روح عجيبة هي قبس من روح الأنبياء:

«حينما طبعت هذا الكتاب لم أكن أعرف أنه سيكون له هذا الصيت العظيم في العالم والدوي الكبير في المجتمعات البشرية مما يؤدي إلى اشتها من ينسب إليه الكتاب؛ وأنا الآن أفكر أحياناً أنني لو كنت مطلعاً على ذلك، وعلى مدى تأثيره في إعلاء شأن مؤلفه لدى الناس، فهل كنت مستعداً لطبعه

باسم (جماعة العلماء) وليس باسمي كما كنتُ مستعداً لذلك أولاً؟ وأكاد أبكي خشية أنني لو كنتُ مطلعاً على ذلك لم أكن أستعدّ لطبعه بغير اسمي»^(١).

ثم يأتي كتاب «اقتصادنا» ليكون مفاجأة أخرى، فيجد المسلم الرسالي الذي ينافح عن دينه ملامح أول نظرية للاقتصاد الإسلامي، ولا يقف الكتاب عند البناء الاقتصادي للإسلام، بل يتعداه إلى نفس وتقويض المذهبين السائدين في النظم الاقتصادية؛ وهما النظام الرأسمالي والاشتراكي.

وبالرغم من أن الكتاب قد يبدو معالجة لمسائل اقتصادية بحتة، إلا أنّ القارئ سوف يعثر على أفكار تدعو إلى التأمل، وحتى يمكن القول أنّها إذا صيغت

١- وقد جاء حديثه بعد طبع الكتاب وكان قد عرضه أولاً على جماعة العلماء ليطلع باسمها غير أنّها اشترطت إجراء بعض التعديلات في الكتاب، وكانت غير صحيحة في رأيه، ممّا اضطره إلى طبع الكتاب باسمه.

ضمن إطار خاص فإنها ستكون أساساً لنظرية رائعة في الحضارة الإسلامية .. فالصدر وهو يكتب إنما يعالج مشكلة كبرى هي مشكلة المسلم المعاصر التي تتمثل في استلهاهم تجربته الرائعة قبل مئات السنين، ثم بعث حضارته الكبرى من جديد ..

لنصغي إلى ما يقوله هذا المفكر العظيم في «اقتصادنا»:

- التوجيهات الإسلامية هي قوانين علمية تؤدي ثمارها متى توافرت الشروط التي تقتضيها هذه القوانين^(١).

- بالرغم من ابتعاد المسلمين عن روح تلك التجربة والقيادة بعداً زمنياً امتدّ قرناً عديدة، وبُعداً روحياً يقدر بانخفاض مستوياتهم الفكرية

١- كتاب اقتصادنا، صفحة ٣١١

والنفسية واعتيادهم على ألوان أخرى للحياة الاجتماعية والسياسية، بالرغم من ذلك كله فقد كان للتحديد الذاتي الذي وضع الإسلام نواته في تجربته الكاملة للحياة دوره الإيجابي الفعّال في ضمان أعمال البر والخير^(١).

- استطاعت (الرسالة الإسلامية) أن تحدث هزة روحية كبيرة في نفسه (الإنسان العربي) وتفجّر في أعماقه الإحساس بالمسؤولية.
- العلم لا يستطيع حلّ المشكلة الاجتماعية إنّما ينبّه لها.. العلم يكشف الحقيقة بدرجة ما.. وليس هو الذي يطوّرها^(٢).
- الدين هو صاحب الدور الأساس في حلّ

١- المصدر السابق، صفحة ٣٠٠

٢- المصدر السابق، صفحة ٣٢٣

- المشكلة الاجتماعية عن طريق تجنيد الدافع الذاتي لحساب المصلحة العامة^(١).
- انظر كيف يفلسف قيام الحضارة الإسلامية:
- إن الإنسان هو القوّة المحرّكة للتاريخ^(٢).
 - ولم يكن هذا الواقع الانقلابي الذي خلق أمة وأقام حضارة وعدّل من سير التاريخ وليد أسلوب جديد في الإنتاج أو تغيّر في أشكاله وقواه^(٣).
 - الدين هو الإطار العام لاقتصادنا^(٤).
 - واصغ إلى ما يقوله عن الآلة:
 - الآلة التي تنتج النسيج يومياً ليست ثروة طبيعية

١- المصدر السابق، صفحة ٣٢٦

٢- المصدر السابق، صفحة ٣٣٨

٣- المصدر السابق، صفحة ٣٤١

٤- المصدر السابق، صفحة ٤٢٧

خالصة وإنما هي مادة طبيعية كيّفها العمل
الإنساني خلال عملية إنتاج سابقة^(١).

وإذا أضفنا إلى هذه الإشارات إشارات أخرى وردت
في «الإسلام يقود الحياة» أدركنا وجود نظرية متكاملة
في ذهن ذلك المفكر العظيم تفلسف تدهور الحضارة
الإسلامية وشروط انبعاثها.

يقول عن معركة «صفين» التي تعدّ أخطر انعطاف
تاريخي في مسار الحضارة أو أعنف انحراف حضاري
في التاريخ:

- ... إذ أعلن معاوية عن نفسه خليفة على
المسلمين بقوة الحديد والنار وكان ذلك أعظم
مأساة في تاريخ الإسلام^(٢).

١- الإسلام يقود الحياة، صفحة ١٦٨

٢- المصدر السابق

وعن انسحاب الإمام المهدي عن مسرح الحياة
وبدء عصر الغيبة الكبرى:

- وقد فرض هذا الواقع المرير أن يقرّر الإمام الثاني
عشر بأمر من الله التواري عن الأنظار انتظاراً للحظة
المناسبة التي تنهياً فيها الظروف الموضوعية
للظهور وإنشاء مجتمع التوحيد في العالم^(١).

ثم يُثير تساؤلاً عن سرّ القوّة والاستمرار في الحضارات:

- ماذا يجدي نمو الشكل المادي للقوّة مع الهزيمة
النفسية من الداخل وانهيار البناء الروحي
للإنسان الذي يملك كلّ تلك القوى والأدوات؟!
وكم من مرّة في التاريخ انهار بناء حضاري شامخ
بأول لمسة غازية؛ لأنّه كان منهاراً قبل ذلك
وفاقداً للثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان

١- المصدر السابق، صفحة ١٦٩

إلى واقعه .

تأملات في سهل صفين

لم يكن ما حدث في صفين معركة عسكرية ضارية وإن بدت في هذا الإطار، ولم يكن صراعاً سياسياً عنيفاً وإن اتخذ هذا الشكل الرهيب من الصراع.

إنّه تحوّل حضاري في مسار التاريخ الإسلامي أو تحوّل تاريخي في مسار الحضارة الإسلامية.

يقول مالك بن نبي المفكر الجزائري الراحل:

«إنّ معركة صفين في الواقع تمثّل تذبذب المجتمع الإسلامي في الاختيار.. الاختيار الحتم بين علي ومعاوية .. بين النظام الإسلامي الديمقراطي في المدينة وبين الحكم المستبدّ الغاشم في دمشق. ولكن المجتمع الإسلامي ومع الأسف اختار الطريق الذي

يؤدي به إلى القابلية للاستعمار ثم إلى الاستعمار».

إننا نشعر بمرارة عليّ عليه السلام وهويتمتم بأسى:

أنزلي الدهر حتى قيل معاوية وعليّ.

ثم وهو يستشرف المستقبل فيقول:

«غدأ ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني

بعد خلوّ مكاني وقيام غيري مقامي».

ثم اصغوا إليه وهو يفلسف الحياة في سهل صفين:

الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم

قاهرين

وكان عليّ عليه السلام يدرك كلّ رموز الصراع، فجسّد ذروة

القيم الإنسانية، بينما انتهج خصمه كلّ الوسائل

الديئة المنحطة؛ لهذا خلد عليّ عبر القرون واندثر

معاوية وإلى الأبد.

ومن هنا أضحت صفين رمزاً للصراع الذي انفجر
مرة أخرى في كربلاء يوم عاشوراء.

يقول المفكر الإيراني شريعتي: «وقد صادفت هذه
الردّة نجاحاً ما لبث أن أصبح أساساً للفواجع التي
تلت بل قانوناً استمر على امتداد تاريخ طويل».

ثم يضيف قائلاً: «وهنا نشهد موت القيم وتقوُّض
روح الثورة ومساها».

ومن هنا فقد أصبحت صفين رمزاً تاريخياً للصراع
والاختيار بين طريقين؛ طريق الإسلام وطريق الجاهلية.

وإذا كان «التاريخ يعيد نفسه كما تعيد الشمس
كرّتها من نقطة الانقلاب»^(١) فمن الممكن للمجتمع
الإسلامي أن يعيش ذات الظروف التي عاشها في
انعطافة صفين مرة أخرى، ويواجه ذات الاختيار

١- مقولة مشهورة للفيلسوف الألماني نيتشه

الدقيق والحاسم.

يقول شريعتي: «من جديد سيولد أبوذر وعمّار وحجر ومالك وسيصنعون جيوشاً تذهب إلى صفين».

لقد عدّ محمّد باقر الصدر استيلاء معاوية على الخلافة أعظم مأساة في تاريخ الإسلام. فيما اعتبرها مالك بن نبي أعظم خطأ ارتكبه المجتمع الإسلامي آنذاك، والذي قاد الأمة الإسلامية إلى القابلية للاستعمار ثم الاستعمار.

هذه آراء ثلاثة من المفكرين عاشوا في بيئات مختلفة وظروف شبه مماثلة وعانوا الكثير من القهر والظلم.. فابن نبي كان مغضوباً عليه من الاستعمار الفرنسي وقضى جلّ عمره بعيداً عن وطنه، وشريعتي أُغتيل على يد السافاك الشاهنشاهي الوثيق الصلة بأميركا، فيما لقي الصدر مصرعه على أيدي جلّادي

البعث العراقي العميل للإنجليز.

ومن المدهش أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا ينظرون إلى مشكلة العالم الإسلامي بوصفها مشكلة حضارة، وكانت أفكارهم ومواقفهم تتحرّك في هذا المسار.

محطات أخرى في العطاء

كان «البنك الاربوي في الإسلام» المحطة التالية في حياة الصدر الفكرية.. حياة لا تعرف إلا التدفق والإبداع؛ وقد جاء الكتاب استجابة لطلب تقدّمت به «لجنة التحضير لبيت التمويل الكويتي» التي تشكلت في وزارة الأوقاف حول بناء نظام مصرفي لا ربوي؛ وقد جاءت الأطروحة في غاية الروعة والدقة والإثارة حتى أنّ نجاح التجربة في الكويت حثّت كثيراً من البلدان الإسلامية الأخرى للاحتذاء بالتجربة الجديدة.. ومن المؤسف أننا لا نجد وفاءً من «بيت التمويل الكويتي»

-الذي حقق أرباحاً خيالية - حتى بكلمة ثناء واحدة!
والجدير ذكره هنا أنّ الصدر كان يخطّط لإنشاء بنك
لا ربوي على أساس موقفين مختلفان اختلافاً جوهرياً.
فهذا المفكر العظيم كان قد ناقش في كتابه الرائع
«اقتصادنا» أسس النظام الإقتصادي على أساس «أنّ
الدين هو الإطار العام لاقتصادنا».

والنظام الإسلامي - كما قال في مقدّمة «البنك اللا
ربوي» - كلّ مترابط الأجزاء، وتطبيق كلّ جزء يهيئ
إمكانات النجاح للجزء الآخر في مجال التطبيق
ويساعده على أداء دوره.

بينما جاءت الأطروحة على أساس إنشاء بنك
لاربوي في واقع لا يمثل فيه الإسلام تجربته الشاملة،
فيكون بذلك تجربة محدودة تمنع جزءاً من محظورات
الإسلام وهو الربا.

ولو كانت التجربة شاملة «بتحريم الربا على البنك ضمن تطبيق شامل للنظام الإسلامي كله» لآتى «كلّ ثماره المرجوة دون مضاعفات»^(١).

ومن دنيا الإقتصاد والمال ينتقل هذا المفكر الكبير إلى عالم الرياضيات بحقائقه المطلقة، ففي كتابه «الأسس المنطقية للاستقراء» ينسف قاعدة ينهض عليها المنطق الأرسطي في بدهة بعض العلوم كالمحسوسات والتجريبيات، وأن هذه العلوم إنما تستمد حقيقتها لا على أساس الضرورة، بل على أساس الحساب في الاحتمالات.

ولكي نفهم المنهج الاستقرائي، يسوق المفكر الشهيد مثلاً من الحياة العادية:

فأنت مثلاً تستلم رسالة من أخيك فتدرك على

١- البنك اللاربوي في الإسلام، المقدمة

الفورائها منه، على أساس من الاستقراء وحساب الاحتمالات التي يجتازها العقل الإنساني في أقل من لحظة. يقول المفكر العبقرى:

«أنتك حين تتسلم رسالة بالبريد وتقرأها فتعرف على أنها من أخيك. لا من شخص آخر ممن يرغب في مراسلتك. تمارس بذلك استدلالاً استقرائياً قائماً على حساب الاحتمال. ومهما كانت هذه القضية واضحة في نظرك فهي في الحقيقة قضية استنتجتها بدليل استقرائي»^(١).

«فالخطوة الأولى تواجه فيها ظواهر عديدة من قبيل أن الرسالة تحمل اسماً يتطابق مع اسم أخيك تماماً، وقد كتبت فيها الحروف جميعاً بنفس الطريقة التي يكتب بها أخوك الألف والباء والجيم والذال والراء

١- الفتاوى الواضحة، المقدمة

إلى آخر الحروف، وقد نسقت الكلمات والفوارق بينها بنفس الطريقة التي اعتادها أخوك، وأسلوب التعبير، ودرجة متانته، وما يشتمل عليه من نقاط قوّة أو ضعف، يتمثل مع ما تألفه من أساليب التعبير لدى أخيك، وطريقة الإملاء، وبعض الأخطاء الإملائية المتواجدة في الرسالة، هي نفس الطريقة، ونفس الأخطاء التي اعتادها أخوك في كتابته، والمعلومات التي تتحدّث عنها الرسالة، هي معلومات يعرفها أخوك عادة، والرسالة تطلب منك أشياء، وتعلن عن آراء تتوافق تماماً مع حاجات أخيك، وآرائه التي تعرفها عنه. هذه هي الظواهر.

وفي الخطوة الثانية تتساءل: هل الرسالة قد أرسلها أخي إليّ حقّاً؟ أو أنّها من شخص آخري حمل نفس الاسم؟ وهنا تجد أنّ لديك فرضية صالحة لتفسير

وتبرير كل تلك الظواهر، وهي أن تكون هذه الرسالة من أخيك حقاً، فإذا كانت من أخيك، فمن الطبيعي أن تتوافر كل تلك المعطيات التي لاحظتها في المرحلة الأولى.

وفي الخطوة الثالثة، تطرح على نفسك السؤال التالي:

إذا لم تكن هذه الرسالة من أخي، بل كانت من شخص آخر، فما هي فرصة أن تتواجد فيها كل تلك المعطيات والخصائص التي لاحظتها في الخطوة الأولى؟ إن هذه الفرصة بحاجة إلى مجموعة كبيرة من الافتراضات؛ لأننا لكي نحصل على كل تلك المعطيات والخصائص، في هذه الحالة يجب أن نفترض أن شخصاً آخر يحمل نفس الاسم، ويشابه أخاك تماماً في طريقة رسم كل الحروف من الألف والباء

والجيم والبدال وغيرها، وتنسيق الكلمات، ويشابهه أيضاً في أسلوب التعبير، وفي مستوى الثقافة اللغوية والإملائية، وفي عدد من المعلومات والحاجات، وفي كثير من الظروف والملابسات. وهذه مجموعة من الصدف يعتبر احتمال وجودها جميعاً ضئيلاً جداً. وكلما ازداد عدد هذه الصدف التي لا بد من افتراضها، تضاعف الاحتمال أكثر فأكثر.

والأسس المنطقية للاستقراء تعلمنا كيف نقيس الاحتمال؟ وتفسر لنا كيف يتضاعف هذا الاحتمال؟ ولماذا يتضاعف تبعاً لازدياد عدد الصدف التي يفترضها، ولكن ليس من الضروري أن ندخل في تفاصيل ذلك، لأنها معقدة وصعبة الفهم على القارئ الاعتيادي. ومن حسن الحظ أن ضالة الاحتمال لا تتوقف على فهم تلك التفاصيل، كما لا يتوقف سقوط

الإنسان من أعلى إلى الأرض على فهمه لقوة الجذب واطّلاعه على المعادلة العلمية لقانون الجاذبية. فلست بحاجة إلى شيء لكي تحس بأن احتمال أن يتواجد شخص يشابه أخاك في كلّ تلك الظروف والحالات بعيد جداً، وليس البنك بحاجة إلى استيعاب الأُسس المنطقية للاستقراء، لكي يعرف أن درجة احتمال أن يسحب كلّ زبائنه ودائعهم في وقت واحد ضئيل جداً، بينما احتمال أن يسحب واحد أو اثنان ليس كذلك.

وفي الخطوة الرابعة تقول: ما دام تواجد كلّ هذه الظواهر في الرسالة أمراً غير محتمل، إلا بدرجة ضئيلة جداً، على افتراض أن الرسالة ليست من أخيك، فمن المرجح بدرجة كبيرة، بحكم تواجد هذه الظواهر فعلاً، أن تكون الرسالة من أخيك.

وفي الخطوة الخامسة: تربط بين الترجيح الذي

قررتَه في الخطوة الرابعة (ومؤداه أن الرسالة قد أرسلت من أخيك) وبين ضالة الاحتمال التي قررتها في الخطوة الثالثة وهي ضالة احتمال أن تتواجد كل تلك الظواهر في الرسالة، بدون أن تكون من أخيك. ويعني الربط بين هاتين الخطوتين: أن درجة ذلك الترجيح، تتناسب عكسياً مع ضالة هذا الإحتمال. فكلما كان هذا الاحتمال أقل درجة، كان ذلك الترجيح أكبر قيمة وأقوى إقناعاً.

وإذا لم تكن هناك قرائن عكسية تنفي أن تكون الرسالة من أخيك، فسوف تنتهي من هذه الخطوات الخمس، إلى القناعة الكاملة بأن الرسالة من أخيك. هذا مثال من الحياة اليومية لكل إنسان.

ولنأخذ مثلاً آخر للمنهج، من طرائق العلماء في الاستدلال على النظرية العلمية وإثباتها.

وليكن هذا المثال نظرية نشوء الكواكب السيارة
ونصّها:

إن الكواكب السيارة التسع، أصلها من الشمس،
حيث انفصلت عنها كقطع ملتهبة قبل ملايين
السنين.

والعلماء يتفقون على العموم في أصل النظرية،
ويختلفون في سبب انفصال تلك القطع عن الشمس.
والاستدلال على أصل النظرية التي يتفقون عليها،
يتمّ ضمن الخطوات التالية:

الخطوة الأولى:

لاحظ فيها العلماء عدّة ظواهر أدركوها بوسائل
الحسّ والتجربة.

١. منها: إن حركة الأرض حول الشمس، منسجمة

- مع حركة الشمس حول نفسها، كلّ منها من غرب لشرق.
٢. ومنها: إن دوران الأرض حول نفسها، متوافق مع دوران الشمس حول نفسها، أي من غرب لشرق.
٣. ومنها: إن الأرض تدور حول الشمس، في مدار يوازي خطّ استواء الشمس، بحيث تكون الشمس كقطب، والأرض نقطة واقعة على الرحي.
٤. ومنها: إن نفس العناصر التي تتألف منها الأرض، موجودة في الشمس تقريباً.
٥. ومنها: أن هناك توافقاً، بين نسب العناصر من ناحية الكمّ بين الشمس والأرض، فالهيدروجين مثلاً هو العنصر السائد فيهما معاً.
٦. ومنها: أن هناك انسجاماً بين سرعة دوران الأرض

حول الشمس وحول نفسها، وبين سرعة دوران الشمس حول نفسها.

٧. ومنها: أن هناك انسجاماً بين عمري الأرض والشمس، حسب تقدير العلم، لعمر كل منهما.

٨. ومنها: أن باطن الأرض ساخن، وهذا يثبت أن الأرض في بداية نشوئها كانت حارة جداً.

هذه بعض الظواهر التي لاحظها العلماء، في الخطوة الأولى بوسائل الحس والتجربة.

الخطوة الثانية:

وجد العلماء أن هناك فرضية يمكن أن تفسر بها كل تلك الظواهر التي لوحظت في الخطوة الأولى. بمعنى أنها إذا كانت ثابتة في الواقع فهي تستبطن هذه الظواهر جميعاً وتبررها. وهذه الفرضية هي:

إن الأرض كانت جزءاً من الشمس، وانفصلت عنها لسبب من الأسباب. فإنّه على هذا التقدير، يتاح لنا أن نفسر على أساس تلك الظواهر المتقدمة.

أما الظاهرة الأولى:

وهي أن حركة الأرض حول الشمس، منسجمة مع حركة الشمس حول نفسها؛ لأنّ كلاً منهما من غرب لشرق، فلأن سبب هذا التوافق في الحركة يصبح واضحاً على تقدير صحّة تلك الفرضية؛ لأن أي جسم يدور إذا انفصلت منه قطعة، وبقيت منشدة إليه بخيط أو غيره، فإنّها تدور بنفس اتجاه الأصل بمقتضى قانون الاستمرارية.

وأما الظاهرة الثانية:

وهي أن دوران الأرض حول نفسها متوافق مع دوران الشمس حول نفسها، أي من غرب لشرق، بالفرضية

المذكورة تكفي لتفسيرها أيضاً؛ لأن الجسم المنفصل من جسم يدور من غرب لشرق، يأخذ نفس حركته بمقتضى قانون الاستمرارية.

وكذلك الأمر في الظاهرة الثالثة أيضاً.

وأما الظاهرة الرابعة والخامسة:

اللتان تعبران عن توافق الأرض والشمس، في العناصر وفي نسبها، فهما مفهومتان بوضوح، على أساس أن الأرض جزء من الشمس؛ لأن عناصر الجزء نفس عناصر الكل.

وأما الظاهرة السادسة:

وهي الانسجام بين سرعة دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها، وبين سرعة دوران الشمس حول نفسها، فقد عرفنا أن فرضية انفصال الأرض من الشمس تعني أن حركتي الأرض ناشتتان من حركة الشمس، وهذا

يفسّر لنا الانسجام المذكور ويحدّد سببه.

وأما الظاهرة السابعة:

وهي الانسجام بين عمري الأرض والشمس، فمن الواضح تفسيرها على أساس نظرية الانفصال، وكذلك الأمر في الظاهرة الثامنة، التي يبدو منها أن الأرض في بداية نشوئها كانت حارة جداً، فإن فرضية انفصالها عن الشمس تستبطن ذلك.

الخطوة الثالثة:

يلاحظ أنه على افتراض أن نظرية انفصال الأرض عن الشمس ليست صحيحة، فمن البعيد أن تتواجد كلّ تلك الظواهر وتتجمع؛ لأنها تكون مجموعة من الصدف التي ليس بينها ترابط مفهوم، فاحتمال تواجدها جميعاً على تقدير عدم صحّة النظرية المذكورة ضئيل جداً؛ لأنّ هذا الاحتمال يتطلّب منّا مجموعة كبيرة من

الافتراضات لكي نفسرتلك الظواهر جميعاً.

فبالنسبة إلى انسجام حركة الأرض حول الشمس، مع حركة الشمس حول نفسها، في أنها من غرب لشرق، لابد أن نفترض أن الأرض كانت جرماً بعيداً عن الشمس، سواء خلقت وحدها، أم كانت جزءاً من شمس أخرى انفصلت عنها، ثم اقتربت من الشمس، وافتراض أيضاً أن الأرض المنطلقة حينما دخلت في مدارها حول الشمس، دخلت في نقطة تقع في غرب الشمس، فتدور حينئذ من غرب لشرق، أي مع اتجاه حركة الشمس حول نفسها، إذ لو كانت قد دخلت في مدار الشمس، في نقطة تقع في شرق الشمس، لكانت تدور من شرق لغرب.

وبالنسبة إلى التوافق بين حركة الأرض حول نفسها، ودوران الشمس حول نفسها، في الاتجاه من غرب

لشرق، نفترض مثلاً أن الشمس الأخرى التي انفصلت عنها الأرض افتراضاً، كانت تدور من غرب لشرق.

وبالنسبة إلى دوران الأرض حول الشمس في مدار يوازي خط استواء الشمس، نفترض مثلاً أن الشمس الأخرى التي انفصلت عنها الأرض، كانت واقعة في نقطة عمودية على خط الاستواء للشمس.

وبالنسبة إلى توافق الأرض والشمس في العناصر، وفي نسبها، لا بد أن نفترض أن الأرض أو الشمس الأخرى التي انفصلت عنها الأرض، قد كانت تشتمل على نفس عناصر هذه الشمس وبنسب متشابهة.

وبالنسبة إلى الانسجام بين سرعة دوران الأرض، حول الشمس وحول نفسها، وبين سرعة دوران الشمس حول نفسها، فنفترض مثلاً أن الشمس الأخرى التي انفصلت عنها الأرض، انفجرت بنحو أعطت للأرض

المنفصلة نفس السرعة التي تناسب مع حركة شمسنا. وبالنسبة إلى الانسجام بين عمري الأرض والشمس وحرارة الأرض في بداية نشوئها، نفترض مثلاً أن الأرض كانت قد انفصلت من شمس أخرى، لما نفس عمر شمسنا، وإنها انفصلت على نحو أدنى إلى حرارتها بدرجة كبيرة جداً.

وهكذا نلاحظ أن تواجد جميع تلك الظواهر، على تقدير عدم صحّة فرضية الانفصال، يحتاج إلى افتراض مجموعة من الصدف، التي يعتبر احتمال وجودها جميعاً ضئيلاً جداً، بينما فرضية الانفصال وحدها كافية لتفسير كلّ تلك الظواهر والربط بينها.

وفي الخطوة الرابعة:

نقول ما دام تواجد كلّ هذه الظواهر الملحوظة في الأرض أمراً غير محتمل، إلا بدرجة ضئيلة جداً، على

افتراض أن الأرض ليست منفصلة عن هذه الشمس فمن المرجح بدرجة كبيرة بحكم تواجد هذه الظواهر فعلاً، أن تكون الأرض منفصلة عن الشمس.

وفي الخطوة الخامسة:

نربط بين ترجيح فرضية انفصال الأرض عن هذه الشمس، كما تقرّر في الخطوة الرابعة وبين ضالة احتمال أن تتواجد كلّ تلك الظواهر في الأرض، بدون أن تكون منفصلة عن هذه الشمس كما تقرّر في الخطوة الثالثة، ويعني الربط بين هاتين الخطوتين، أنه كلما كانت ضالة الاحتمال الموضحة في الخطوة الثالثة أشدّ، كان الترجيح المفصح في الخطوة الرابعة أكبر؛ وعلى هذا الأساس نستدلّ على نظرية انفصال الأرض عن الشمس، وبهذا المنهج حصل العلماء على قناعة

كاملة»^(١).

إننا لا يمكننا مواكبة هذا العقل الجبار في كل ما أنتجه فضلاً عن الإحاطة بتلك القابلية الفذة التي لا تيسر لإنسان في العصر الحديث.

وليس من المبالغة القول أنّ آراء هذا المفكر الفيلسوف تحتاج إلى مركز متخصص في الدراسات الأكاديمية لكي يستكشف أفكاره وآراءه ونظرياته. فوراء كل جملة عالم واسع من المعاني والدلالات.

وهذا استعراض سريع لبعض مؤلفاته الأولى في مسائل غاية في الحساسية، والتي تحتاج إلى دراسات مستفيضة:

- بحث حول المهدي.
- الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية.

١- الفتاوى الواضحة، المقدمة

- منابع القدرة في الدولة الإسلامية.

- بحث حول الولاية.

- دراسة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

إلى غير ذلك من العطاء العلوي الخالد.

لا تلعن الظلام؛ اشعل شمعة!

لم يكتف الصدر بوضع اليد على الجراح النازفة،
ويشير إلى مواطن المرض؛ لأن اكتشاف المرض لا
يعني بدهاءة معرفة الدواء.

فهذا الفتى الذي وصل «النجف» على قدر، أدرك
كلّ آلام أُمته بعمقها التاريخي النازف، وبحاضرها
المريض، فراح يفجّر ينابيع الخير لتسيل أودية بقدر.

لقد عاش المفكر الصدر في حقبة تاريخية بالغة
الخطورة، وكان الفكر الإسلامي يعيش حالة من

الجمود، في فترة كانت الأفكار المستوردة تجد لها أنصاراً متحمسين، وكان الدين في مهب إعصار فيه نار، وكانت الحصون مهددة من داخلها، وفي هذه الظروف ولد محمد باقر الصدر قائداً ومفكراً وأباً رحيماً للأمة منكوبة.

يعدّ عام ١٩٥٨ م. ١٣٧٨ هـ بداية التغيرات الهائلة فكرياً وسياسياً، حيث كانت الجبهة الإسلامية - إذا صحّ التعبير - تهتزّ بعنف. ففي غمرة الصراع بين التيار الماركسي المدعوم حكومياً والتيار القومي، ولدت الحاجة لموقف إسلامي واضح، فكانت «جماعة العلماء» التي يمكن أن نقول بحق أن وجودها يرتبط بشكل رئيسي بعقليّة السيّد الشهيد الصدر^(١).

«ورغم أن السيّد الشهيد رضوان الله عليه لم يكن

١- مجلة الجهاد - العدد ١٤ - جمادى الثانية ١٤٠١ هـ

أحد أعضاء (جماعة العلماء) لصغر عمره!! إلا أنه كان له دور رئيسي في تحريكها وتوجيهها^(١).

وشقّت «جماعة العلماء» طريقها في غمرة تلك الأفكار، فكانت «الأضواء» البداية المشرقة لإطلاقة الموقف الإسلامي فكرياً وسياسياً، وكان للمفكر الصدر عمود «رسالتنا» الذي بدأ يحرك الأصدقاء ويغيب الأعداء.

الكثيرون بل والكثرة الغالبة لا تفهم لعبة الصراع الفكري، حيث يرصد الاستعمار الأفكار الخطيرة، ثم يبدأ تطويقها وقتلها بخفاء، وهكذا وُضع الصدر في قائمة الخطرين منذ ذلك التاريخ، وبدأت الملاحقة لأفكاره.

ومن نافلة القول أنّ الصدر كان بمستوى الرجل الذي

أدرك كل أساليب العدو، فكان يتصرّف بهدوء ويفوّت
الفرص التي يحاول الاستعمار التسلل منها.

كتب مرّة وكان ذلك عام ١٣٨٠ هـ إلى أحد تلامذته
يبثّه همومه: «... لقد كان بعدك أنباء وهنبة، وكلام
وضجيج وحملات متعدّدة جُنّدت كلّها ضد صاحبك
وبغية تحطيمه».

وتأمّل هاتين الكلمتين «أنباء وهنبة»، لتستشفّ
من ورائها عمق المعاناة، خاصّة إذا علمنا أنّهما وردتا
ربّما مرّة واحدة في التاريخ وعلى لسان السيدة فاطمة
الزهراء عليها السلام، في حادثة مصادرة الميراث المؤسفة.

لقد كانت الزهراء عليها السلام تعيش أوّل محنة في الإسلام،
عندما خاطبت أباهما الراحل بكلمات تقطر حزناً ولوعة:

قد كان بعدك أنباء وهنبة

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم

لما مضيت وحالت دونك الترب

والله وحده الذي يُراقب الأعماق، ويحيط بكلّ

شيء. وربّما يأتي اليوم الذي تنكشف فيه كثير من

الأسرار والخفايا، ويسجّل التاريخ تفاصيل المحنة

التي مرّت بهذا الرجل العظيم، والخناجر المسمومة

التي كانت تسدّد له في قلب الليل.

ومخطئ من يتصوّر أنّ الحرب التي شنت ضده

كانت محلّية تواجه كلّ إنسان يحاول إلقاء حجر في

البحيرة الساكنة وكسر حالة الجمود، وأنّها نابعة من

بعض ذوي النفوس المريضة والمتخلّفة.

إنّ محمّد باقر الصدر كان ظاهرة تهدّد الوجود

الاستعماري. وإذا شئت فقل «القابلية للاستعمار»،

وإنّ أطرافاً دولية يهّمها مستقبل العراق هي التي

كانت تدير لعبة الصراع فكرياً ومن وراء حجاب، وإن تلك الأطراف استفادت من الواقع الفكري والنفسي في تجنيد أعداء محلّيين، كانوا يضربون بقسوة. وكان الصدر يتأوّه وحيداً ويسكت على مضض، فالصبر كان سلاحه الوحيد؛ والصبر سلاح الأنبياء.

يقول الشاهد الشهيد:

«ابتدأت تلك الحملات في أوساط «الجماعة» التوجيهية المشرفة على «الأضواء»؛ أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلکهم».

وفي رسالة أخرى يقول: «لا أستطيع أن أذكر تفصيلات الأسماء في مسألة (جماعة العلماء) وحملتها على (الأضواء)!.. ولكن أكتفي بالقول، بأن بعض الجماعة كان نشيطاً في زيادة أعضاء (جماعة العلماء)، لإثارتهم

على (الأضواء) وعلى (رسالتنا)»^(١).

ويمكن القول أن الصراع المرير الذي خاضه الصدر قد وصل إلى تعادل في الأهداف، فقد وفق الصدر بعبور الأزمة فمرت بسلام واستمرت الأضواء بالصدور كما توقع لها:

«حدسي أنّ الأضواء سوف تستمر إن شاء الله تعالى؛ لأنها تتمتع الآن برصيد قويّ من الداخل والخارج»^(٢).
أما خصومه فقد نجحوا في إيقاف القلم الذي كان يمدّ «رسالتنا» بالأفكار المقاتلة.

ومشروع آخر

ولإيمان السيّد الصدر رضي الله عنه بدور الجامعات في قضية التغيير الثقافي التي تسبق في الواقع كلّ التغيّرات

١- المصدر السابق

٢- المصدر السابق

الإجتماعية والسياسية انطلاقاً من قوله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).. انطلاقاً من ذلك كان «الصدر» في طليعة من أسهموا في إنشاء «كلية أصول الدين في بغداد»، وأعدّ الشهيد الجزء السادس من المنهج الدراسي فيها. فمن أجلها كتب «المعالم الجديدة في علم الأصول» كما كتب مادة «علوم القرآن» لطلاب السنة الأولى والثانية، كما كتب مادة «الاقتصاد الإسلامي» إضافة إلى مساهمته الفعالة في مجلة «رسالة الإسلام» التي تصدرها الكلية^(٢).

ومن أجل أن تتضح الصورة، ولو بشكل عام، نورد هذه السطور عن زيارة التونسي الدكتور محمد التيجاني السماوي الذي التقى الصدر على قدر. فتحت عنوان «لقاء مع محمد باقر الصدر» كتب التيجاني يقول:

١- الرعد: ١١

٢- عن الكتاب الجهاد السياسي

لقاء مع محمد باقر الصدر

«اتجهت بصحبة السيد أبوشبر إلى بيت السيد محمد باقر الصدر، في الطريق كان يلاطفني ويعطيني بسطة عن العلماء المشهورين، وعن التقليد وغير ذلك، ودخلنا على السيد محمد باقر الصدر في بيته، وكان مليئاً بطلبة العلوم وأغلبهم من الشباب المعممين وقام السيد يسلم علينا، وقدّموني إليه، فرحّب بي كثيراً وأجلسني بجانبه، وأخذ يسألني عن تونس والجزائر وعن بعض العلماء المشهورين أمثال الخضر حسين والطاهر بن عاشور وغيرهم، وأنست بحديثه، ورغم الهيبة التي تعلوه والاحترام الذي يحوطه به جلساؤه، وجدت نفسي غير محرج وكأني أعرفه من قبل، واستفدت من تلك الجلسة، إذ كنت أسمع أسئلة الطلبة وأجوبة السيد عليها، وعرفت

وقتها قيمة تقليد العلماء الأحياء الذين يجيبون على كل الإشكالات مباشرة وبكلّ وضوح، وتيقّنت أيضاً من أن الشيعة مسلمون يعبدون الله وحده، ويؤمنون برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، إذ كان بعض الشك يراودني والشيطان يوسوس لي بأنّ ما شاهدته قبل هو تمثيل، وربّما يكون ما يسمّونه بالتقية، أي أنهم يُظهرون ما لا يعتقدون، ولكن سرعان ما يزول الشك وتضمحلّ تلك الوسوس، إذ لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يتفق كل من رأيتهم وسمعتهم - وهم مئات - على هذا التمثيل، ثم هذه كتبهم القديمة التي كتبت منذ قرون، والحديثة التي طبعت منذ شهور، وكلّها توحد الله وتثني على رسوله محمّد، كما قرأت ذلك في مقدّماتها، وها أنا الآن في بيت السيّد محمد باقر الصدر، المرجع المشهور في العراق وفي خارج العراق،

وكَلِّمًا ذَكَرَ اسْمَ مُحَمَّدٍ صَاحِ الْجَمِيعِ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

وَجَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَخَرَجْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَكَانَ بِجَوَارِ
الْبَيْتِ، وَصَلَّى بِنَا السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بِأَقْرَابِ الصَّدْرِ صَلَاةَ الظُّهْرِ
وَالْعَصْرِ، وَأَحْسَسْتُ بِأَنِّي أَعِيشُ وَسَطَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ،
فَقَدْ تَخَلَّلَ الصَّلَاتَيْنِ دَعَاءَ رَهَيْبٍ مِنْ أَحَدِ الْمُصَلِّينَ،
وَكَانَ لَهُ صَوْتٌ شَجِي سَاحِرٌ.. وَبَعْدَمَا أَنْهَى الدَّعَاءَ
صَاحَ الْجَمِيعُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».
وَكَانَ الدَّعَاءُ كُلَّهُ ثَنَاءً وَتَمْجِيداً عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ثُمَّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

وَجَلَسَ السَّيِّدُ فِي الْمَحْرَابِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. وَأَخَذَ
الْبَعْضُ يَسْأَلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ سِرّاً وَعِلَانِيَةً، وَكَانَ
يَجِيبُ سِرّاً لِبَعْضِ الاسْئَلَةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْكِتْمَانَ،
فَهَمَّتْ بِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِشُؤُونَ خَاصَّةٍ، وَكَانَ السَّائِلُ إِذَا

حصل على الجواب يقبل يده وينصرف. هنيئاً لهم
بهذا العالم الجليل الذي يحلّ مشاكلهم ويعيش
همومهم.

رجعنا بصحبة السيد الذي أولاني من الرعاية
والعناية وحسن الضيافة ما أنساني أهلي وعشيرتي،
وأحسست بأني لوبقيت معه شهراً واحداً لتشيعت
لحسن أخلاقه وتواضعه وكرم معاملته، فلم أنظر إليه
إلا وابتسم في وجهي وابتدرني بالكلام، وسألني هل
ينقصني شيء، فكنت لا أعادره طيلة الأيام الأربعة إلا
للنوم، رغم كثرة زوّاره والعلماء الوافدين عليه من كل
الأقطار، فقد رأيت السعوديين هناك، ولم أكن أتصوّر
بأنّ في الحجاز شيعة، وكذلك علماء من البحرين
ومن قطر ومن الإمارات ومن لبنان وسوريا وإيران
وأفغانستان ومن تركيا ومن أفريقيا السوداء. وكان السيد

يتكلم معهم ويقضي حوائجهم ولا يخرجون من عنده
إلا وهم فرحون مسرورون.

ولا يفوتني أن أذكر هنا قضية حضرتها وأعجبت في
كيفية فصلها، وأذكرها للتاريخ لما لها من أهميّة بالغة
حتى يعرف المسلمون ماذا خسروا بتركهم حكم الله.

جاء إلى السيد محمد باقر الصدر أربعة رجال -
أظنهم عراقيين، عرفت ذلك من لهجتهم - كان أحدهم
ورث مسكناً من جدّه الذي توفّي منذ سنوات، وباع
ذلك المسكن إلى شخص ثان كان هو الآخر حاضراً،
وبعد سنة من تاريخ البيع جاء أخوان، وأثبتا أنهما
وارثان شرعيان للميت، وجلس أربعتهم أمام السيد،
وأخرج كل واحد منهم أوراقه وما عنده من حجج.
وبعد ما قرأ السيد كل أوراقهم وتحدّث معهم لبضع
دقائق، حكم بينهم بالعدل، فأعطى الشاري حقه في

التصرف بالمسكن، وطلب من البائع أن يدفع للأخوين نصيبهما من الثمن المقبوض، وقام الجميع يقبلون يده، ويتعانقون. ودهشت لهذا ولم أصدق وسألت أبا شبر: هل انتهت القضية؟ قال: «خلاص، كل أخذ حقه». قلت: سبحان الله! وبهذه السهولة، وبهذا الوقت الوجيز، بضع دقائق فقط كافية لحسم النزاع؟ إن مثل هذه القضية في بلادنا تستغرق عشر سنوات على أقل تقدير ويموت بعضهم، ويواصل أولاده بعده تتبّع القضية، ويصرفون لرسوم المحكمة والمحامين ما يكلفهم في أغلب الأحيان ثمن المسكن نفسه، ومن المحكمة والمحامين ما يكلفهم في أغلب الأحيان ثمن المسكن نفسه، ومن المحكمة الابتدائية إلى محكمة الاستئناف، ثم إلى التعقيب، وفي النهاية يكون الجميع غير راضين بعدما يكونوا قد انهكوا

بالتعب والمصاريف والرشوة، والعداوة والبغضاء بين
عشائهم وذويهم.

أجابني أبو شبر: وعندنا أيضاً نفس الشيء أو أكثر.
فقلت: كيف؟ قال: إذا كانوا يقلدون المرجع الديني
ويلتزمون بالأحكام الإسلامية، فلا يرفعون قضاياهم إلا
إليه، فيفصلها في بضع دقائق كما رأيت، ومن أحسن
من الله حكماً لقوم يعقلون؟ والسيد الصدر لم يأخذ
منهم فلساً واحداً، ولو ذهبوا إلى المحاكم الرسمية
لتعرت رؤوسهم.

ضحكت لهذا التعبير الذي هو سار عندنا أيضاً،
وقلت: سبحان الله! أنا لا زلت مكذباً ما رأيت، ولولا
ما شاهدته بعيني ما كنت لأصدق أبداً. فقال أبو شبر:
لا تكذب. يا أخي. فهذه بسيطة بالنسبة إلى غيرها من
القضايا التي هي أشد تعقيداً وفيها دماء، ومع ذلك

يحكم فيها المراجع ويفصلونها في سويعات، فقلت متعجباً: إذاً عندكم في العراق حكومتان: حكومة الدولة وحكومة رجال الدين، فقال: كلا عندنا حكومة الدولة فقط، ولكنّ المسلمين من الشيعة الذين يقلّدون مراجع الدين، لا علاقة لهم بالحكومة؛ لأنها حكومة البعث وليست حكومة إسلامية، فهم خاضعون لها بحكم المواطنة والضرائب والحقوق المدنية والأحوال الشخصية، فلوتخاصم مسلم ملتزم مع أحد المسلمين غير الملتزمين فسوف يضطر حتماً لرفع قضيته إلى محاكم الدولة؛ لأنّ هذا الأخير لا يرضى بتحكيم رجال الدين، أمّا إذا كان المتخاصمون ملتزمين فلا إشكال هناك، وما يحكم به المرجع الديني نافذ على الجميع. وعلى هذا الأساس تحل القضايا التي يحكم فيها المرجع في يومها بينما تظلّ القضايا الأخرى شهوراً

وأعواماً.

إنها حادثة حركت في نفسي شعور الرضا بأحكام الله سبحانه وتعالى، وفهمت معنى قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) ﴿مَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

كما حركت في نفسي شعور النعمة والثورة على هؤلاء الظلمة الذين يبدلون أحكام الله العادلة، بأحكام وضعية بشرية جائرة، ولا يكفيهم كل ذلك بل ينتقدون - بكل وقاحة وسخرية - الأحكام الإلهية، ويقولون بأنها بربرية ووحشية لأنها تقيم الحدود، فتقطع

١- المائة: ٤٤

٢- المائة: ٤٥

٣- المائة: ٤٧

يد السارق، وترجم الزاني، وتقتل القاتل، فمن أين يا ترى جاءتنا هذه النظريات الغريبة عنا وعن تراثنا؟ لا شك أنها من الغرب ومن أعداء الإسلام الذين يدركون أنّ تطبيق أحكام الله يعني القضاء عليهم نهائياً؛ لأنهم سرّاق، خونة، زناة، مجرمون وقتلة. ولو طبقت أحكام الله عليهم لاسترحنا من هؤلاء جميعاً.

وقد دارت بيني وبين السيد محمد باقر الصدر في تلك الأيام حوارات عديدة، وكنت أسأله عن كلّ صغيرة وكبيرة من خلال ما عرفته من الأصدقاء الذين حدّثوني عن كثير من عقائدهم وما يقولونه في الصحابة رضي الله عنهم وما يعتقدونه في الائمة الاثني عشر، علي وبنيه، وغير ذلك من الأشياء التي نخالفهم فيها. سألت السيد الصدر عن الإمام علي، ولماذا يشهدون له في الأذان بأنه وليّ الله؟! أجاب قائلاً: إنّ

أمير المؤمنين علي سلام الله عليه وهو عبد من عبيد الله الذين اصطفاهم الله وشرفهم ليوصلوا حمل أعباء الرسالة بعد أنبيائه، وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء، فلكل نبي وصي، وعلي بن أبي طالب هو وصي محمد صلي الله عليه وآله وسلّم، ونحن نفضله على سائر الصحابة بما فضله الله ورسوله، ولنا في ذلك أدلة عقلية ونقلية من القرآن والسنة، وهذه الأدلة لا يمكن أن يتطرق إليها الشك لأنها متواترة وصحيحة من طرقنا وحتى من طرق أهل السنة والجماعة، وقد ألف في ذلك علماءنا العديد من الكتب، ولما كان الحكم الأموي يقوم على طمس هذه الحقيقة ومحاربة أمير المؤمنين علي وأبنائه وقتلهم، ووصل بهم الأمر إلى سبّه ولعنه على منابر المسلمين وحمل الناس على ذلك بالقهر والقوة، فكان شيعته وأتباعه رضي الله عنهم يشهدون أنه ولي

الله، ولا يمكن للمسلم أن يسب ولي الله، وذلك تحدياً منهم للسلطة الغاشمة حتى تكون العزة لله ولرسوله والمؤمنين، وحتى تكون حافظاً تاريخياً لكل المسلمين عبر الأجيال فيعرفون حقيقة علي وباطل أعدائه.

ودأب فقهاؤنا على الشهادة لعلي بالولاية في الأذان والإقامة استحباباً، لا بنية أنها جزء من الأذان أو الإقامة، فإذا نوى المؤذن أو المقيم أنها جزء بطل أذانه وإقامته. والمستحبات في العبادات والمعاملات لا تحصى لكثرتها، والمسلم يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، وقد ورد على سبيل المثال أنه يذكر استحباباً بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، بأن يقول المسلم: وأشهد أن الجنة حق والنار حق وأنّ الله يبعث من في القبور.

قلت: إنّ علماءنا علّمونا أنّ أفضل الخلفاء على

التحقيق سيّدنا أبو بكر الصديق، ثم سيّدنا عمر
 الفاروق، ثم سيّدنا عثمان، ثم سيّدنا علي رضي الله
 تعالى عنهم أجمعين؟

سكت السيّد قليلاً: ثم أجابني:

لهم أن يقولوا ما يشاؤون، ولكن هيهات أن يثبتوا
 ذلك بالأدلة الشرعيّة، ثم إن هذا القول يخالف صريح
 ما ورد في كتبهم الصحيحة المعتبرة، فقد جاء فيها:
 أن أفضل الناس أبو بكر وعمر ثم عثمان ولا وجود لعلي،
 بل جعلوه من سوقة الناس، وإنّما ذكره المتأخرون
 استحباباً لذكر الخلفاء الراشدين.

سألته بعد ذلك عن التربة التي يسجدون عليها،
 والتي يسمّونها «بالتربة الحسينية». أجاب قائلاً:

يجب أن نعرف قبل كل شيء أننا نسجد على
 التراب، ولا نسجد للتراب، كما يتوهّم البعض الذين

يشهرون بالشيعة، فالسجود هو لله سبحانه وتعالى وحده، والثابت عندنا وعند أهل السنة أيضاً أنّ أفضل السجود على الأرض أو ما أنبتت الأرض من غير المأكل والملبوس، ولا يصحّ السجود على غير ذلك، وقد كان رسول الله ﷺ يفترش التراب، وقد اتخذ له خمرة من التراب والقش يسجد عليها، وعلم أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا يسجدون على الأرض، وعلى الحصى، ونهاهم أن يسجد أحدهم على طرف ثوبه، وهذا من المعلومات بالضرورة عندنا.

وقد اتخذ الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام تربة من قبر أبيه أبي عبد الله باعتبارها تربة زكية طاهرة سالت عليها دماء سيد الشهداء، واستمر على ذلك شيعته إلى يوم الناس هذا، فنحن لا نقول بأن السجود لا يصحّ إلا عليها، بل

نقول: بأن السجود يصح على أية تربة أو حجرة طاهرة
كما يصح على الحصير والسجاد المصنوع من سعف
النخيل وما شابه ذلك.

قلت . على ذكر سيدنا الحسين رضي الله عنه :
لماذا يبكي الشيعة ويلطمون ويضربون أنفسهم حتى
تسيل الدماء؛ وهذا محرّم في الإسلام، فقد قال صلى الله عليه وآله:
«ليس منّا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى
الجاهلية»؟!!

أجاب السيّد قائلاً: الحديث صحيح لا شكّ فيه
ولكنّه لا ينطبق على ماتمّ أبي عبد الله، فالذي ينادي
بشأر الحسين ويمشي على درب الحسين، دعوته
ليست دعوى جاهلية، ثم إن الشيعة بشرفيهم العالم
وفيهم الجاهل ولديهم عواطف، فإذا كانت عواطفهم
تطغى عليهم في ذكرى استشهاد أبي عبد الله وما جرى

عليه وعلى أهله وأصحابه من قتل وهتك وسبي، فهم مأجورون لأنّ نواياهم كلّها في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يعطي العباد على قدر نواياهم، وقد قرأت منذ أسبوع التقارير الرسمية للحكومة المصرية بمناسبة موت جمال عبد الناصر، تقول هذه التقارير الرسمية بأنّه سجّل أكثر من ثماني حالات انتحارية قتل أصحابها أنفسهم عند سماع النبأ، فمنهم من رمى نفسه من أعلى العمارة، ومنهم من ألقى بنفسه تحت القطار وغير ذلك، وأما المجروحون والمصابون فكثيرون، وهذه أمثلة أذكرها للعواطف التي تطغي على أصحابها، وإذا كان الناس وهم مسلمون بلا شك يقتلون أنفسهم من أجل موت جمال عبد الناصر وقد مات موتاً طبيعياً، فليس من حقنا - بناءً على مثل هذا - أن نحكم على أهل السنّة بأنهم مخطئون.

وليس لأخواننا من أهل السنّة أن يحكموا على
 اخوانهم من الشيعة بأنهم منخطئون في بكائهم على
 سيد الشهداء، وقد عاشوا محنة الحسين وما زالوا
 يعيشونها حتى اليوم، وقد بكى رسول الله نفسه على
 ابنه الحسين وبكى جبرئيل لبكائه.

قلت: ولماذا يزخرف الشيعة قبور أوليائهم بالذهب
 والفضّة وهو محرّم في الإسلام؟

أجاب السيد الصدر: ليس ذلك منحصرًا بالشيعة،
 ولا هو حرام، فها هي مساجد إخواننا من أهل السنّة
 سواء في العراق أو في مصر أو في تركيا أو غيرها من
 البلاد الإسلامية مزخرفة بالذهب والفضّة، وكذلك
 مسجد رسول الله في المدينة المنورة، وبيت الله الحرام
 في مكّة المكرّمة الذي يُكسى في كل عام بحلّة ذهبية
 جديدة يصرف فيها الملايين، فليس ذلك منحصرًا

بالشيعة.

قلت: إنّ علماء السعودية يقولون: إن التمّسح
بالقبور ودعوة الصالحين والتبرّك بهم، شرك بالله، فما
هورأيكم؟

أجاب السيد محمّد باقر الصدر:

إذا كان التمّسح بالقبور ودعوة أصحابها بنية أنهم
يضرّون وينفعون، فهذا شرك، لا شك فيه، وإنما
المسلمون موحدون ويعلمون أن الله وحده هو الضارّ
والنافع، وإنّما يدعون الأولياء والأئمة عليهم السلام ليكونوا
وسيلتهم إليه سبحانه، وهذا ليس بشرك، والمسلمون
سنّة وشيعة متّفقون على ذلك من زمن الرّسول إلى هذا
اليوم، عدا الوهابيّة وهم علماء السعودية الذين ذكرت،
والذين خالفوا إجماع المسلمين بمذهبهم الجديد
الذي ظهر في هذا القرن، وقد فتنوا المسلمين بهذا

الاعتقاد وكفروهم وأباحوا دماءهم، فهم يضربون الشيوخ من حجّاج بيت الله الحرام لمجرّد قول أحدهم: السلام عليك يا رسول الله، ولا يتركون أحداً يتمسّح على ضريحه الطاهر، وقد كان لهم مع علمائنا مناظرات، ولكنهم أصرّوا على العناد واستكبروا استكباراً. فإن السيد شرف الدين من علماء الشيعة لمّا حجّ بيت الله الحرام في زمن عبد العزيز آل سعود، كان من جملة العلماء المدعوّين لقصر الملك لتهنّئته بعيد الأضحى كما جرت العادة هناك. ولّما وصل الدور إليه وصافح الملك، قدّم إليه هديّة وكانت مصحفاً ملفوفاً في جلد، فأخذه الملك وقبّله ووضع على جبهته تعظيماً له وتشريفاً، فقال له السيد شرف الدين عندئذ: أيها الملك لماذا تقبّل الجلد وتعظّمه وهو جلد ما عز؟ أجاب الملك: أنا قصدت القرآن الكريم الذي بداخلة

ولم أقصد تعظيم الجلد! فقال السيد شرف الدين عند ذلك: أحسنت أيها الملك، فكذاك نفعل نحن عندما نقبل شباك الحجرة النبوية أو بابها، فنحن نعلم أنه حديد لا يضر ولا ينفع، ولكننا نقصد ما وراء الحديد وما وراء الأخشاب. نحن نقصد بذلك تعظيم رسول الله ﷺ، كما قصدت أنت القرآن بتقبيلك جلد الماعز الذي يغلفه.

فكبر الحاضرون إعجاباً له وقالوا: صدقت.

واضطر الملك وقتها إلى السماح للحجاج أن يتبركوا بآثار الرسول حتى جاء الذي بعده، فعاد إلى القرار الأول. فالقضية ليست خوفهم أن يشرك الناس بالله، بقدر ما هي قضية سياسية قامت على مخالفة المسلمين وقتلهم لتدعيم ملكهم وسلطتهم على المسلمين، والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوه في أمة

محمد.

وسألته عن الطرق الصوفية فأجابني بإيجاز: بأنّ فيها ما هو إيجابي، وفيها ما هو سلبي، فالإيجابي منها: تربية النفس، وحملها على شطف العيش، والزهد في ملذّات الدنيا الفانية، والسموّبها إلى عالم الأرواح الزكية. أمّا السلبي منها: فهو الانزواء والهروب من واقع الحياة وحصر ذكر الله في الأعداد اللفظية وغير ذلك، والإسلام. كما هو معلوم. يقرّ الايجابيات وي طرح السلبيات، ويحقّق لنا أن نقول: بأن مبادئ الإسلام وتعاليمه كلّها إيجابية.

المواجهة الكبرى

كان الصدر يعيش هاجس التغيير مع البدايات الأولى من وصوله مدينة النجف الأشرف، وكان في سن لا تسمح له بالظهور في الواجهة بسبب المعادلات

النفسية التي تحكم الجوّ الثقافي السائد آنذاك.

على أنّ شخصية مثل الصدر لم تكن لتكثر
للمسائل الذاتية، بقدر ما كانت لتهمّ بالآفاق البعيدة،
في المدى الذي كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام
يتطلّعون إليه؛ ولهذا كان الصدر يخطو على هون كما
البنفسج يملأ الفضاء بشذاه دون أن يراه أحد.

ويمكن القول بأنّ مساحة واسعة من تاريخ العراق
الحديث، تعود إلى مواقف وهموم فرد واحد هو الصدر
الشهيد. فالتحوّلات الكبرى التي شهدتها البلاد، إنّما
ترجع إلى بعض المشاريع السياسية والثقافية الضخمة
التي ولدت باهتمام أو مساهمة فعّالة من لدنه.

ويعدّ تشكيل «حزب الدعوة الإسلامية» إحدى
أهمّ الحركات السياسية والثقافية التي حرّكت الوضع
السائد آنذاك باتجاه الإسلام عقيدةً ونظاماً، وكانت

بمثابة إلقاء حجر ثقيل في بحيرة ساكنة.

ومن هنا فإن عملاً من هذا القبيل يعدّ غريباً بل ونشازاً آنذاك، نتيجة التحفظات التي لا تجد مسوغاً للعلاقة بين السياسة والدين، وكان لابدّ لذلك العمل من أن يثير بعض التساؤلات والانتقادات بل وحتى الاتهامات؛ الأمر الذي دفع بالمرجع الكبير السيّد محسن الحكيم إلى أن يطلب منه الانفصال عن «حزب الدعوة» حتى لا يحسب على جهة إسلامية معينة أو داخل إطار خاص.

ولقد استجاب الصدر فوراً لإرادة المرجع، وهذا لا يعني في الواقع قناعة بوجهة نظر الطرف الآخر، بقدر ما يعبر عن قناعة الصدر الشهيد بأن عدم الاستجابة سيؤدّ مضاعفات خطيرة^(١).

١- كان السيّد الحكيم ينتهج في سيرته ومواقفه حالة الاعتدال والتي كان السلام طابعاً عاماً لها، وهو وإن لا يصرّح بذلك علناً ولكنه يبدو واضحاً من

خلال مواقفه التي تشبه إلى حدٍ بعيدٍ مواقف المرجع الكبير «البروجردي» الذي عاش في إيران ظروفًا مماثلة. ولعلَّ أبلغ تعبير عن ذلك هذا الحوار الذي دار بينه وبين الإمام الخميني رحمته الله لدى وصول الأخير النجف الأشرف في منفاه الثاني:

الإمام: أتمنى أن تذهب إلى إيران لتشهد ما يجري هناك على أمة الإسلام. فيما مضى كنتُ أعللُّ سكوتُ المرحوم البروجردي إزاء دولة الجباية لأنه لم يسمع بما يفعلونه، كما كنتُ أفُسرُ صمتكم هذا؛ لأنكم بمنأى عمَّا تقوم به حكومة إيران من كوارث، وإلا فإنكم لن تسكتوا.

لقد احتفلت السلطة في طهران بمرور ٣٥ سنة على حكم بهلوي وأنفقوا ٤٠٠/٠٠٠ دولار كانوا قد انتزعوها من الناس بالقوة وأحضرُوا ٨٠٠ فتاة و٨٠٠ فتى للدعاء! وحدث ما يخجلني التحدُّث به.

الحكيم: ليس من اللائق أن أذهب إلى إيران بينما أنتم هنا؛ ثم ماذا سيؤثر ذهابي؟

الإمام: سيؤثر حتماً، نحن بنهضتنا أوقفنا مشاريع خطيرة للحكومة، كيف لا يؤثر ذلك؟ لو اتحد العلماء فإنَّ التأثير مؤكَّد.

الحكيم: لو يمكن الاهتمام أيضاً بطريق عقلائي وهذا أفضل.

الإمام: إن هدفنا هو الطريق العقلائي لأننا نرفض أصلاً طريق غير العقلاء، ومرادي موقف علماء وعقلاء الأمة.

الحكيم: إنَّ الأمة لن تتبعنا لو انتخبنا طريقاً عنيفاً.. وهذا سيكون له ضرر بالغ على الدين.

الإمام: لقد أثبتت الأمة شهامتها في مذبحه «١٥ خرداد».

الحكيم: إذا قمنا بالثورة وسالت الدماء ستحدث ضجة وسيبتعد عنَّا

الشعب.

الإمام: إننا ثرنا فلم نجد من الأمة غير الاحترام وتقبيل الأيدي وعاف الناس من كان له موقف غير الثورة. وفي منفاي بتركيا زرت قرية لا أذكر اسمها الآن؛ وأخبرني الأهالي هناك أنه عندما كان «أتاتورك» منهمكاً في الحملة على الدين اجتمع العلماء واتخذوا قرار المواجهة ضد اتاتورك، وقد قام اتاتورك بحصار القرية وقتل أربعين من علماء تركيا، ولقد شعرت بالخجل وفكرت في نفسي إذ كيف يقوم علماء السنّة وهم يرون الخطر محققاً بدينهم ويقدمون دماءهم رخيصة بينما يشهد علماء الشيعة أخطاراً عظيمة تهدّد الدين فلا نصاب حتى بالرعاف! أمر مخجل حقّاً.

الحكيم: ماذا ينبغي فعله، لنحتمل وجود أثرٍ أولاً، وإلا ما جدوى القتل؟

الإمام: إن الأعمال التخريبية ضد الدين لها شكلان. فمثلاً كان «رضا خان» بعيداً عن الدين وكان يقول سأفعل كذا وكذا ولم يكن ليقم وزناً للشرع، وبالطبع فإن معارضته ستكون من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن هذا «الشاه» يبزّر كل عمل ضد القرآن والمذهب قائلاً: إنّه من صميم الدين، وإن القرآن يقول ذلك، أنا أتحدّث عن القرآن!!، وهذه بدعة كبرى. لنضع التاريخ يسجّل أن الدين لما تعرّض للخطر فإن بعضاً من علماء الشيعة ثاروا وأنّ فريقاً منهم قُتلوا.

الحكيم: ما جدوى التاريخ، نحن نبحث عن الأثر.

الإمام: كيف لا يكون للتاريخ فائدة؟! ألم تقدّم ثورة الحسين عليه السلام خدمة للتاريخ؟ ألم يكن هناك جدوى من ثورته؟

الحكيم: ما هو رأيك في موقف الحسن عليه السلام إنّه لم يقم بثورة؟

الإمام: لو كان للإمام الحسن أنصار مثلما لديك، لثار. ولقد نهض بالأمر في

في هكذا أجواء كان السيّد الصدر يتنفس ويعيش، وكان ينظر إلى الأفق البعيد فلا يرى سوى غيوماً وسماءً تندر بالكوارث، ولهذا كانت حياته سلسلة من الهموم المتّصلة، والمتعددة الجبهات، فهو يكتب للجيل الحائر والأجيال المقبلة ويرسي دعائم مشاريع ضخمة ويربّي النخبة التي قد تخلفه في زمن ما أو مكان ما؛ وفي خضمّ كلّ ذلك كان يتفادى الطعنات الغادرة من هنا وهناك؛ ليقف وحده وجهاً لوجه ضد «عجل» العراق.

البداية، ولمّا رأى أنصاره يبيعون أنفسهم وضمائرهم لم ينتصر، أما أنت فلك أنصار في كل البلاد الإسلامية.

الحكيم: ولكنني لا أرى من يتبعني لوأقدمت.

الإمام: إذا قمت بالثورة فأنا أوّل من يتبعك.

الحكيم: ابتسامة وصمت.

«كوثر»، ج ١، ص ١٩٩

كتاب توثيقي حول مواقف الإمام الخميني

كان الصدر يتطلع إلى الشعب، ينظرو وينتظر، وكان الشعب بدوره ينظر إلى الصدر وينتظر، ولقد أدرك الشهيد الصدر بعد ذلك أن الأمة تعيش ظرفاً كانت قد عاشتها قبل تاريخ ٦١ هـ لهذا أضحى الاستشهاد هاجسه الوحيد، وربما منذ إعدام البصري ورفاقه.

فهذا الإنسان العظيم لا يرى قيمة لحياته إلا بقدر ما يعطي لأُمَّته من وجوده وحياته وفكره^(١).

وليس كل الناس يحركهم الفكر، بل هناك من لا يحركه إلا الدم.

الحسين يولد من جديد

هل يعيد التاريخ نفسه حقاً، فتعود سنوات القهر سنوات عجاف؛ تنسلخ الأمة فيها عن نفسها.. عن

١- الصدر الشهيد في برقيته الجوابية للإمام الخميني بعد إعراب الإمام عن قلقه إزاء ما يجري في العراق

هويتها .. وعن ذاتها، فتغدو هياكل ميتة أو تكاد.

في غفلة عن التاريخ حيث المنعطفات الحادة
المظلمة يسطو أبناء الليل والظلام ليسرقوا وطناً ومجداً،
فلاتجد من يرفع رأسه أو صوته. فالناس نيام أو عاكفون
على عجل له خوار.

وحده الصدر كان يقاتل .. تسكن في أعماقه ثورة
وتبرق في عينيه رؤى كربلاء .. يوم كان الحسين عليه السلام
يقاتل وحيداً وكانت الأمة تمجد عجلأ اسمه يزيد،
وكان على الحسين أن يُذبح ليوقظ بدمائه التاريخ
والحضارة والإنسانية.

لا ينكر أحد أن العراق وربما البلد الوحيد الذي
يقدّس التضحية، إنه يقف مفتوناً أمام البطل وهو
يقتحم الموت اقتحاماً وهويكاد لهذا المشهد أن يفقد
وعيه تماماً.

ولعلها ظاهرة تاريخية أن تنتاب هذا البلد وهو يبحث في كل عصر عن بطل ينوب عنه في التعبير عن عذابه وآلامه وطموحاته .. يبحث عن فرد ينوب المجتمع العاجز عن التغيير ليقدم أحد أبنائه إلى المذبح؛ من أجل أن ينوح عليه .. إنه لا يريد أن يدفع ثمناً ما، وهو الموت، فيبحث عمّن ينوب عنه في هذه المهمة .. حتى أمست البطولة في رأيه لا تعني شيئاً سوى الموت.

ومن المفارقات أننا نجد المجتمع وهويبيكي الحسين فإنه يشعر بالسعادة وهويبيكي من أجله بعد أن تبلغ التضحية أوجها بذبح الحسين في مشهد درامي فريد.

لهذا كان على أبطال الأمة إذا ما أرادوا التغيير أن لا يفكروا بطريق آخر غير الموت، وكلما كان المشهد

قريباً من صورة كربلاء كانت الصدمة أكبر وسعادة الأمة
بالبكاء أكثر..

أليس عجباً أن يقول الصدر: ليس كل الناس
يحرّكهم الفكر بل هناك من لا يحركه إلا الدم.

ولقد شاء القدر أن يهب الصدر هذه البطولة
بأروع صورها حتى إننا نجد إلى جنبه شقيقته «أمّنة»
لتستلهم موقفاً زينياً يوفّر للبطولة قدراً أكبر من التأثير.
إننا لا نستطيع مواكبة كلّ المسيرة الجديدة
للاستشهاد، ولكن التأمّل في بعض محطاتها سوف
يمنحنا رؤية لحقبة تاريخية شاء القدر أن يكون الصدر
بطلها الوحيد.

إنّ كلّ المؤشرات تشير إلى أنّ الصدر لم يكن متفائلاً
إزاء مستقبل العراق وكان يدرك أن الشعب العراقي
يعيش حالة تشبه إلى حدّ كبير الحقبة التي سبقت

سنة ٦١ هـ حيث الحقّ مغلوب على أمره. وكان إعدام عارف البصري ورفاقه بعد محاكمة صورية تدلّل على أن البعث العراقي اختار البطش والقسوة مع التيار الإسلامي الذي يمثّل الوعي العميق للأُمَّة مسلوبة الإرادة.

كان الصدر في مكتبته عندما وصله نبأ إعدام الشيخ عارف البصري^(١) ورفاقه لمجرّد الرأي، وربّما يكون هذا الحادث وبالرغم من خطورته أوّل اختبار بعثي لإرادة الأُمَّة التي سجّلت فيه أدنى درجات الوعي وانعدام الإرادة.

كان الصدر يبكي بحرقة، فقال له تلميذه وهو يحاوره:

١- استشهد مظلوماً مع صحبه ومزّ الحادّث بسلام ما عدا تجمّع طلابي أمام «الطبّ العدلي» ما لبث أن تفزّق مذعوراً

- إذا أنت تصنع هكذا فماذا نفعل نحن؟

أجاب الصدر وهو يكفكف دموعه:

- يا بني! والله لو أن البعثيين خيروني بين إعدام خمسة من أولادي وبين إعدام هؤلاء لاخترت إعدام أولادي.

كان البعث العراقي قد بدا قدراً صارماً لا يمكن مواجهته، فكانت خطته التدميرية تنفذ بقوة ونجاح، وكانت الأمة تنسلخ من تاريخها وحاضرها ومستقبلها لتصبح العوبة بأيدي أوغاد قذرين.

كانت عجلة البعث تسير بقوة، تسحق كل من يقف في طريقها.. حتى أن الشعارات المرفوعة بدا فيها روح الاستفزاز واضحاً بل وكانت تبعث على القيء من قبيل: «جننا لنبقى».

وكان من المتوقع أن تسير الأمور على هذه الوتيرة، لولا

حادث كبير وقع فأيقظ الجميع .. الأعداء والأصدقاء

..

لقد انفجرت ثورة الإسلام وجاء رجل يحمل ملامح
الأنبياء ليطيح بعروش الجبابرة. ويوم أعلنت طهران
أنها صوتُ الثورة الإسلامية في إيران، بدأ تاريخ جديد،
واتخذ الصراع في العراق منحىً آخر اتسم بتسارع
الأحداث نحو مشهد لا يقلُّ بريقاً عن مشهد عاشوراء
الحسين عليه السلام.

اشتعالات قبيل الغروب

كانت انتفاضة الأربعين من صفر عام ١٣١٧ هـ ١٩٧٧
م أول صدام عنيف بين الشعب والنظام. وفي غمرة
تلك الحوادث الدامية بات واضحاً لدى الطرفين أنّ
الحسين ما يزال يقاتل في كربلاء، وأنّ دمه الطاهريهب
الأحرار حماساً فريداً في الإقدام والتضحية والفداء.

وكان للسيد الصدر في تلك الحادثة موقفه الرائع في دعم الانتفاضة وتغذيتها بالروح، كأن روح الحسين تسكن في أعماقه، وكان من رأيه دعم المواكب الحسينية التي تتدفق صوب كربلاء في موسم عاشوراء؛ لأنها الطريق الأمثل في بعث الروح الإسلامية وانبعث الضمير المسلم من جديد، وكان يقول: «إن هذه المواكب شوكة في عيون حكام الجور، وإنها يجب أن تبقى».

إن الفكر وحده مهما كان عميقاً فإنه لا يخرج عن دائرة العقل، وإن التغيير المنشود يحتاج إلى العاطفة المتأججة.. العاطفة التي يمكن أن تشعل لهيب الثورات في العالم. من أجل هذا كان الصدر يتطلع إلى جدّه الحسين، يستلهم ذكراه ويحاول السير في خطاه؛ فالضمير المثقل بالخوف والإرهاب يحتاج إلى

عمل بطولي يحطّم حاجز الرعب، وقد قال الصدر من قبل: «لقد وضع البعثيون طوقاً من الخوف على رقاب الشعب العراقي وسأعمل على تحطيم هذا الطوق».

وبالرغم من عدم وجود الصدر في الواجهة إبان الانتفاضة، ولكن كان هناك ما يُشير إلى القلب النابض فيها كما تشير البوصلة إلى القطب دائماً.

وإذا كان «ابن سعد» قد ظهر سنة ٦١ هـ كبيدق أموي لتنفيذ أبشع مذبحه في التاريخ فإنّ عام ١٣٩٧ هـ شهد كلباً دنيئاً هو «أبو سعد» ليتولّى اعتقال السيّد الصدر واقتياده مخفوراً إلى بغداد.

وفي بغداد تعرّض الصدر إلى تعذيب نغول بغداد، وكان قرار الإعدام جاهزاً، فقد بات الصدر نقيضاً للبعث حيث وجود أحدهما يعني فناء الآخر.

وقد كسّر البعثي القدر عن أنياب تنرّصديداً وخاطب

الصدرَ بلهجة مليئة بالتهديد والوعيد:

- إننا نعلم أنك وراء هذه الأعمال العدوانية، ونعلم أنك قدّمت لهم الأموال، لكننا نعرف كيف ننتقم منك في الوقت المناسب. لولا انشغالنا بالقضاء على هؤلاء (المشاغبين) لنفدنا الإعدام الآن! ولكن سترى بعد حين مصيرك.

لقد وقع الحادث قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بعامين تقريباً، ولما حدث الزلزال الإيراني، برز الصدر متقلداً سيف جدّه الحسين؛ برز لوحده يقاتل نظاماً أمويّاً دموياً مجهّزاً بكلّ وسائل القمع والموت والدمار. ونظام البعث يمثل ذروة الوحشية .. نظام لا يتورع «الشرطي الأول» فيه حتى عن أكل رؤوس الأطفال.

وهكذا انتخب الصدر طريقه العجيب.

ولعلّ الأمة في العراق كانت تحلم بالبطل الجديد ..
البطل الذي سيقدم ثمن البطولة وهو الموت.

الشرارة الأولى

أذاعت طهران نصّ البرقية التي بعث بها الإمام
الخميني إلى السيّد محمّد باقر الصدر، حيث عبّر
الإمام عن قلقه البالغ إزاء ما أُشيع عن نيّة الصدر في
مغادرة العراق. وفيما يلي نصّ البرقية:

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيّد
محمّد باقر الصدر دامت بركاته

«علمنا أنّ سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب
بعض الحوادث. إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم
مدينة النجف الأشرف، مركز العلوم الإسلامية، وإنني
قلق من هذا الأمر، أمل إن شاء الله إزالة قلق سماحتكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

وبالطبع لم يستلم الصدر نصّ البرقية ولكنه أصغى
إلى شريط مسجّل من الإذاعة.

وقد بعث الإمام الصدر ببرقية جوابية معلناً فيها
وبشكل واضح انتخابه الطريق الصعب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام المجاهد السيّد روح
الله الخميني دام ظلّه

تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسّدت أبوتكم
ورعايتكم الروحية للنجف الأشرف الذي لا يزال منذ
فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة.

وإني أستمّد من توجيهكم الشريف نفحة روحية، كما
أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي

للنجف الأشرف، وأودّ أن أُعبّر لكم بهذه المناسبة
 عن تحيات الملايين من المسلمين والمؤمنين في
 عراقنا العزيز، الذي وجد في نور الإسلام الذي أشرق
 من جديد على يدكم ضوءاً هادياً للعالم كلّه، وطاقة
 روحية لضرب المستعمر الكافر والاستعمار الأمريكي
 خاصّة، ولتحرير العالم من كلّ أشكاله الإجرامية، وفي
 مقدمتها جريمة اغتصاب أرضنا المقدّسة فلسطين،
 نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتّعنا بدوام وجودكم
 الغالي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٥ / رجب / ١٣٩٩ هـ

وجاءت هذه البرقية الجوابية لتنهى حالة الترقّب
 التي كانت تسود الأجواء.

الوفود

تدفق آلاف العراقيين إلى مدينة النجف الأشرف للتعبير عن تضامنهم مع الإمام الصدر. وبالرغم من كثافة الوفود التي غصت بها المدينة الصغيرة فإنها لا يمكن أن تعبّر عن إرادة أمة بقدر ما تعبّر عن ضمير أمة ضعيفة مسلوبة الإرادة.

وما أشبه الليلة بالبارحة. فالحسين عليه السلام يتسلم آلاف الرسائل من الكوفيين التي تعبّر عن محتوى واحد وهو أن لا إمام لهم سواه. فالرسائل لم تكن تعبّر عن إرادة أمة اختارت معاوية في صفين ثم بايعت يزيد من بعده. إنها تعبّر عن ضمير وطموحات أمة تجاه المنقذ الذي يمكن أن يقاتل بالنيابة عنها، وإلا «فما لها والدخول بين السلاطين».

إنّ النخبة وحدها هي التي عبّرت عن ضمير الأمة.

أمّا الإرادة فإنّها في الجانب الآخر من المعادلة؛ القلوب مع الحسين والسيوف عليه.

ومرّة أُخرى تجسّدت هذه المعادلة لتكون القلوب .. كلّ القلوب مع الإمام الصدر، أمّا الإرادة فمع جلاّد بغداد وعجل العراق. وحتى ملفّ التحقيق مع الإمام الصدر يشير إلى هذه الحقيقة، فقد ورد سؤال يعبر عن روح التسلّط حول ما جاء في البرقية الجوابية.

- من خوّلك نقل تحيّات ملايين العراقيين إلى السيّد الخميني؟

فالنظام يعترف لا شعورياً بضمير أمة ترنوبأمل إلى ما حصل في إيران؛ لهذا استنكر النظام. فقط. التعبير عن هذا الطموح بعمل إرادي حتى على مستوى الكلمات.

لحظات الغروب

لقد سجّل التاريخ عام ٦١ هـ على شواطئ النهر
بكربلاء قصّة أولئك النفر من جيش يزيد كيف كانوا
يبكون وحدة الحسين عليه السلام وكانوا يتضرّعون إلى الله أن
ينصره! .. إنها قصّة الضمير المسلوب الإرادة.

هكذا كانت النجف وهي ليست عن كربلاء ببعيد
.. حالة مدمّرة من الترقّب وانتظار المعجزة.

بدأت المدينة الصغيرة ذلك المساء من يوم الاثنين
السادس عشر من رجب ١٣٩٩ هـ حيث التاريخ الهجري
على أعتاب قرن جديد .. بدأت موحشة.

ذئاب الليل تنتشر هنا وهناك، واستعدّ الصدر
للبلاء، وكانت إلى جانبه شقيقته امرأة تحمل ملامح
زينب عليها السلام في كلّ شيء.

العيون الزجاجية مفتوحة ترقب منزلاً صغيراً أوى
صاحبه إلى النوم آمناً مطمئناً، والعالم من حوله يموج

بالغدر.

انطوى الليل واستيقظ الفجر كئيباً رمادي اللون
وجاء زوّار الفجر.

قال رجل الأمن وهو يلوك الكلمات بصفافة:

- السادة المسؤولون في بغداد يريدون الاجتماع
بكم في بغداد.

أجاب الإمام بانفعال:

- إذا كنت تحمل أمراً باعتقالي فنعم أذهب، وإن
كانت زيارة فلا.

وأضاف بألم:

- إنكم كمنتم الأفواه وصادرتم الحريات، وخنقتم
الشعب، تريدون شعباً ميّتاً، يعيش بلا إرادة ولا
كرامة، وحين يعبر شعبنا عن رأيه أو يتخذ موقفاً

من قضية ما، حين تأتي الألوف لتعبّر عن ولائها
 للمرجعية وللإسلام، لا تحترمون شعباً ولا ديناً،
 ولا قيماً، بل تلجأون إلى القوّة، لتكتموا الأفواه
 وتصادروا الحريات وتسحقوا كرامة الشعب ..
 أين الحرية التي تدّعونها!!

لاذ رجل الأمن بالصمت .. الصمت الذي يعبّر عن
 لا شيء وعن كلّ شيء .

هل فوجئ البعثي بموقف لم يتوقّعه .. لقد رأى أمّة
 بأسرها ترقع، وها هو يشهد تمرّد فرد واحد يعبّر عن كرامة
 شعب سحق تحت الأقدام؟

وغادر موكب عجب البيت المتواضع الذي بدا في
 ذلك الفجر الرمادي شيخاً ينتحب بصمت .

كلمات منقوعة بالنار

الطريق المؤدي إلى شارع «زين العابدين» هو مجرد خطى معدودة في حساب الجغرافيا. أما التاريخ فله حساباته التي لا تختلف عن الجغرافيا فحسب، بل وقد تتناقض معها في بعض الأحيان.

أصحاب العيون الزجاجية (الغرباء) منبثون في الزوايا هنا وهناك، وفي أيديهم رشاشات الكلاشنكوف، يريدون أن يوقفوا عجلة التاريخ.

فبدت ذلك الفجريّات وأفاعي تنظر من خلال فوّهات مدهوشة إلى رجل يحمل في وجهه ملامح موسى بن عمران عليه السلام وفي عينيه بريق الحسين عليه السلام.

كانت «أمنة» تستلهم «زينب».. تستلهم صبرها وشجاعته وهي تخطو إلى حيث احتشد الذئاب.

ووقفت آمنة في مواجهة نظام مدجج بالسلاح، ووقف التاريخ يصغي إلى كلمات منقوعة بالنار،

مضمخة بصهيل كربلاء:

- انظروا! أخي وحده بلا سلاح .. بلا مدافع
ورشاشات .. أما أنتم بالمئات ..

وهتفت وهي تشير إلى عشرات «الغرباء»:

- انظروا .. أنتم بالمئات .. هل سألتم أنفسكم
لِمَ هذا العدد الكبير وكلّ هذه الأسلحة؟ لأنكم
تخافون، ووالله لولا ذلك لما جئتم لاعتقال أخي
في هذه الساعة من الفجر ..

وأطلقت صرخة مدوّية:

- لماذا لا تجيئون إلا والناس نيام؟ .. لماذا
تختارون هذا الوقت هل سألتم أنفسكم؟

هناك لحظات يتحوّل فيها الصمت إلى حديث هو
أبلغ من كلّ الأحاديث .. لغةٌ عجيبة.

كان الصمت يغمر المكان تماماً، وكانت العيون
الزجاجية ترقب امرأة عجيبة كأنها ليست من بنات
حواء .. سيّدة من سيّدات التاريخ، ما زال التاريخ يرّدّد
كلماتها وهي تخاطب أخاها في قبضة الجلّادين:

- اذهب يا أخي .. الله معك فهذا هو طريقنا وهذا
هو طريق أجدادك الطاهرين.

عادت آمنة إلى المنزل .. كأنها تعود إلى قلعة
مهجورة، فيما رحل الرجل الذي اختار طريق
الحسين عليه السلام ..

قال رجل يخشى الموت ويشفق منه على «آمنة»:

- أما كان من الأفضل أن تترشي. كلماتك الشائنة
تبشّر بالخطر، سوف يفتحون لك صفحة جديدة
في سجلّاتهم.

أجابت «زينب هذا العصر»:

- إن ديني يدفعني لاتخاذ هذا الموقف .. لقد
انتهى زمن السكوت .. ولا بدّ لنا أن نفتح صفحة
جديدة من الجهاد .. لقد سكتنا طويلاً .. وكلّما
طال سكوتنا، كبرت محنتنا. لماذا أسكت وأنا
أرى مرجعاً مظلوماً في قبضة هؤلاء المجرمين .

قال الذي أشفق من الموت:

- ولكّتهم قد يعدمونك .. فهم مجرمون

قالت أمنة وفي قلبها دوي من كربلاء:

- والله! إنّي أتمنى الشهادة في سبيل الله .. منذ يوم
«الوفود» وأنا أتمنى ذلك .. أنا أعرف هذه السلطة
وأعرف وحشية هؤلاء وقسوتهم .. الرجل عندهم
والمرأة سواء .. أما أنا فسيّان عندي أن أعيش أو
أموت ما دمت واثقة من أنّ موقفي كان لله ومن
أجله

آمنة تتحدّث بلغة عجيبة .. لغة لا يفهمها إلا قليل
من العالمين. من أجل هذا بقيت وحيدة إلا من بعض
المشفقين.

وكان علي «آمنة» أن تفعل شيئاً .. لقد ولدت زينب.
أشرقت الشمس .. شمس يوم الثلاثاء .. حزينة
كعين تنتحب، أو جمرة متوقدة تبشّر بالثورة ..

حُتّت «آمنة» الخطى نحو مرقد جدّها العظيم .. علي
.. عليّ الذي قال مرّة وهو على شاطئ الفرات بصفين:
- الموت في حياتكم مقهورين .. والحياة في
موتكم قاهرين

كلّ شيء كان هادئاً داخل الضريح حيث يرقد بطل
الإسلام الخالد عليّ بن أبي طالب عليه السلام كأنّه عاد توّاً من
صفين أو النهروان .. كلّ شيء كان هادئاً سوى تمتمات
الدعاء من شفاه المؤمنين .. أو تأوّهات المظلومين ..

وجاءت «أمنة» تتوشح عزم زينب عليها السلام

- يا جداه! لقد اعتقلوا ابنك الصدر.. فإلى الله

المشتكى!

والتفتت إلى ثلّة من أمة نائمة.. علّها تستيقظ..

تهبّ من نومها فتتذكر بيعة قديمة للحسين.

كلّما ادلهمت الخطوب، أوقسى الزمان.. وكلّما

ظهر يزيد يعيث في الأرض فساداً، تطلّعت القلوب

إلى رجل يدعى الحسين، وإلى حفيده الذي يأتي في

آخر الزمان.. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً

وجوراً.

وهكذا شهد «الحرم الطاهر» أول تجمع يستنجد

«بالمهدي الموعود»، فلقد امتلأت الأرض ظلماً وجوراً

وفساداً.

كثيرون هم الذين يتصورون أن «المهدي» من

اختراع «الشيعة» فهذه الطائفة من البشر مظلومة عبر التاريخ، لم يعيشوا بسلام أبداً، مقهورون أين ما حلّوا. لهذا ركنوا إلى من سيخلصهم .. إلى من يمنحهم الأمن والطمأنينة والسلام. والمهدي منحهم ذلك الشعور، فناموا على القهر. كلاً.. المهدي ليس أسطورة وإن حيكته حوله الأساطير. المهدي رجل من ولد الحسين .. علويّ نائر.. مطلوب من كلّ حكومات الدنيا .. من كلّ طغاة التاريخ. ينتظره المعدّون .. في كلّ زمان ومكان. إنّه الأمل، والأمل أعظم شيء يملكه الإنسان.

من أجل هذا اجتمع المؤمنون في حرم الإمام عليّ عليه السلام يهتفون باسم المنقذ المنتظر.

من أجل هذا ينهضون كلّما ذكر المهدي .. حركة أشبه بالرمز تعبّر عن الإرادة والاستعداد للثورة تحت

لوائه عليه السلام ..

يضعون أكفهم فوق رؤوسهم تحية مباركة طيبة للثائر
الأخضر.

يوم الثلاثاء .. يوم طويل .. من أيام الله .. لقد استيقظ
الضمير المثلث بالخدر .. أيقظته صرخة لها صدئ
زينبي؛ وكانت انتفاضة رجب بكل زخمها الشعبي
صدئاً لصرخة هذه السيدة العظيمة.

خرجت تظاهرة في النجف .. تندد .. تهتف
باسم الصدر .. بحسين العصر. وخرجت تظاهرة في
الكاظمية (مدينة الميلاد) ومثلها في «الخالص» من
أرض ديالى، وتظاهرة في مدينة «الثورة» خاصة بغداد
عاصمة «السفاح».

كان «الصدر» أسيراً في قبضة المغول من نغول
بغداد. العيون الزجاجية تبرق حقدًا وشتائم بذئمة

كلعاب الأفاعي تنفلت من الأفواه الكريهة.

وجاء «البرّاك» يحمل سيف الشمر، وكان كلّ شيء ماثلاً.. والجريمة وشيكة. الجميع ينتظرون لحظة الذبح. حتى الإمام الصدر كان هو الآخر ينتظر ميلاده الجديد.. ميلاده كشهيد. سوف تتدفّق دماؤه حمراء.. حمراء.. تمتزج بمياه الرافدين.. وعندها سيهبّ النائمون وتحدث المعجزة. هكذا علّمه الحسين عليه السلام.
كان سيف الشمر على وشك الانقراض عندما جاء رجل من أقصى المدينة يسعى.

قرأ البرّاك ورقة صغيرة، تراجع الذئب المتحفّز في الأعماق، اختبأ وراء قناع لحمل وديع.

أخفت الأفاعي أنيابها.. ألسنتها المشقوقة وحاولت أن تبتسم لرجل أسير في يده عصا موسى وفأس إبراهيم عليه السلام.

وفكّر الصدر لحظة ربّما حدثت المعجزة واستيقظ
الشعب. ها هو يصغي إلى صهيل فرس غاضبة تقاتل
في كربلاء تدفع عن فارسها غائلة السيوف الغادرة ..
تمرّغ ناصيتها بالجراح النازفة.

وعاد الصدر إلى النجف وهو أكثر تصميماً وعزماً
على المضي في طريق الحسين .. طريق قلّ سالكوه
.. طريق مصبوغ بدماء الأنبياء وتنتصب على جانبيه
أعواد المشانق.

هاجس عاشوراء

لعلّ شيعة العراق هم وحدهم الذين يدركون
هواجس الإمام الصدر وهو يتحدث عن لغة الجراح
وموت الشهادة؛ فهذا الرجل أدرك نفسه ودوره، وأدرك
الظروف التي تحيطه، وشمّ في الأفق رائحة الحسين
وأصغى إلى صهيل جواده، وإلى صوته وهو يشحن

سيفه عشية عاشوراء ..

ولقد سمعه العديدون وهو يتمتم قائلاً:

- «العراق بحاجة إلى دم كدمي»

وإذا كان قرار البعث هو إعدام الصدر أو اغتياله،
فإن ذلك يعود إلى تصميم الإمام نفسه على الشهادة
.. فالشهادة لدى الشيعة انتصار، والموت الأحمر في
نظرهم خلود أخضر.

لا أحد يدري متى ولد الحسين في أعماق الصدر
ومتى أضحت كربلاء هاجسه الوحيد .. ولكن من
المؤكد أن شقيقته آمنة هي الإنسان الوحيد الذي أدرك
ما يعتمل في ذلك القلب الكبير، وأدركت أنه يحتاج
إلى زينب .. لهذا تشربت آمنة زينب ومضت معه في
ذات الطريق العجيب الذي انتخبه أخوها العظيم.

في فترة مبكرة كان الإمام الصدر يعيش هاجس

كربلاء، وكان يردّد أمام بعض تلامذته ذلك قائلاً: إن الأمة مبتلاة اليوم بذات المرض الذي أبتليت به في زمن الحسين، وهو فقدان الإرادة فالأمة تعرف حزب البعث ولا تشكّ في طبيعة الحاكمين في العراق.. لا تشكّ في فسقهم وفجورهم وفي طغيانهم وظلمهم.. ولكنّها فقدت إرادتها..

إنّ علينا أن نعالج هذا المرض بذات الخطوة التي قام بها الحسين عليه السلام؛ وهي التضحية الكبرى التي هزّ بها المشاعروأعاد دماء الحياة إلى عروق الأمة من جديد.

ويبدو أن الفكرة قد اختمرت في ذات الإمام الصدر حتى لم تعد إلا خطوات يقطعها إلى مسرح كان قد عيّنه من قبل، وهو الصحن الطاهر لبطل الإسلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

عندما نفتش في زوايا التاريخ؛ نقلب صفحاته السوداء والبيضاء والصفراء، فإننا نجد في هذه البقعة أو تلك من دنيا الله .. في هذا العصر أو ذاك من نهر الزمن المتدفق ثلّة تجتمع تحت جناح الظلام على ضوء القناديل أو الشموع أو المصابيح الخافتة؛ تتهامس لقلب نظام حكم ما، أو الإطاحة بعرش أو دولة .. تخطط للهجوم .. للثورة والانتصار، وهي في كلّ ذلك تتمنى النصر والغلبة والسيطرة.

أمّا أن يجلس إنسان أعزل وحيد يخطط لذبحه ليتدفق دمه في مكان ما أعدّ له من قبل، فهذا لم يحدث به التاريخ أبداً، إلا أن نقول أن الحسين قد اختار كربلاء ليذبح وينتصر. وإذا كان ذلك كذلك فإنّ الصدر سيكون ابن الحسين وتلميذه الأوحى عبر التاريخ.

وهكذا تكلم الصدر.. بلغة الجرح.. لغة عجيبة
تستمد أبجديتها من شاطئ الفرات بكربلاء.. فيها
دماء قانية.. وصهيل.. وفيها إباء وفيها ما يشبه
الجنون، خاصّة لدى «العقال» من العالمين!

ولكن ما الذي منع الصدر من تنفيذ فكرته. من
الذي حال دون إتمام وعده؟

لقد عاش الصدر في زمن عجيب له مقاييسه
«المؤسّمة».. مقاييس ليست من الدين في شيء؛
حيكت لتكون ثوباً يستر «العورة».

أرسل الصدر من يجسّ له «الضغط» والحرارة، في
المدينة، فألفها الرسول «ترتجف» لمجرّد «التسفير»
وعاد بخفي حنين.

يمّم الصدر صوب الخميني الرجل الوحيد الذي
يفهم لغة الصدر.

أصغى الإمام لحديث عجيب وهزته الكلمات
الثائرة تنساب مع الجراح.

يا لهول المشهد. الصدر يخطب في أمة من الناس.
يقاوم ويهاجم، ثم يسقط شهيداً تتدفق دماؤه طاهرة
تلون الأرض بلون الشفق.

سكت الصدر وظلّ الخميني مطرقاً برأسه ترى ماذا
سيقول .. وبعد صمت مدو تتمم الإمام:

- لا أدري!!

إن المرء لن يتوقع جواباً أبلغ من هذا، فيه حزن
الأنبياء .. إنه يدري ويقول: لا أدري.
ونهض الصدر ينوء بثقل الرسالة.

الأيام

مضت أيام على احتجاز الإمام الصدر وحالة من

الترقب تسود الوطن، وقد بدأ البعث هجومه على
«الأجنحة». وتساقت الشهداء من صحبه. ها هي
كربلاء تتجسد من جديد. إنها لم تعد بقعة صغيرة على
شواطئ الفرات. إنها تشمل كل العراق .. كل أرض
الفراتين. والصدر يراقب مصارع الرجال، فتتجمع
الدموع في عينيه وهو يرمق السماء .. يشكوها ويلات
الأرض ويتضرع: «إلهي بحق أجدادي الطاهرين
الحقني بهم».

و ذات يوم ..

كانت الشمس ترسل أشعتها في ظهيرة لاهبة،
والزقاق الذي فيه منزل الصدر يسوده الوجوم والخوف
.. وقد تربص فيه الغدر، فرجال الأمن مبثوثون هنا
وهناك يرقبون كل شاردة وواردة .. يحاصرون قلعة
عجيبة فيها رجل أعزل لا يملك من دنياه سوى قلب

ينبض بالحبّ.

لقد أدرك أعداؤه أنّ هذا القلب قنبلة مدمّرة يوشك
أن تنفجر لتحيل قصورهم أنقاضاً.

كان «رجال الأمن» يضيّقون ذرعاً بما هم فيه،
يتصبّبون عرقاً وهم منشّدون إلى أماكنهم كالمسامير..
وكان القلب الذي ينبض للأمة ينبض لهم لأنّهم
أبناء عاقون، وفي كلّ الأحوال هم أبناؤه، وهتف الصدر:

- اسقوهم ماءً

- يا سيدي إنّهم أعداؤك الذين يحتجزونك .. لقد
بثّوا الذعر في قلوب أبنائك.

- يا بني، هؤلاء يستحقون الرحمة. إنّهم لم يجدوا
ظروفاً تساعدهم ليكونوا طيبين. لم يئبوا في
بيئة مسلمة. ولو خلّوا وطبعهم أو وجدوا البيئة

الصالحة لكانوا مؤمنين.

لودقت النظر في الصحراء قريباً من كربلاء لرأيت
الحسين يأمر أصحابه أن يقدموا الماء لألف فارس
جاءوا وقتله كانوا ظالمين، فسقاهم الحسين وسقى
رجالاً وخيولاً أغارت عليه في الظهر العظمى ومزقت
قلبه الدافئ. أنه التاريخ يعيد نفسه كما تُعيد الشمس
كرتها من نقطة الانقلاب.

رسالة

وذات مساء وصلت رسالة .. فيها دنائير بسيطة
بساطة الشعب الذي يعبر عن نفسه على الطبيعة.

سيدنا ..

نحن لا نصلي ولا نصوم ..

لكننا نراك مظلوماً، وهؤلاء البعثيون ظلموك

وقد جمعنا هذا المبلغ البسيط نرجو منك قبوله ..

لأنك محجوز ومحتاج

إن شاء الله نأتي غداً .. في الساعة الثالثة بعد الظهر

ونقتل هؤلاء المجرمين الذين يحتجزونك .

وجاء الغد يحمل شمساً جديدة .. وقبل الموعد

بدقائق، كان الصدر يترقب أبناءه؛ ترى هل سيفون

بالوعد .

دقت الساعة الثالثة وظهر في أقصى الزقاق ثلاثة

رجال ملثمين وثلاثة في أسفله، واشتعلت المعركة ..

كانت عينا الصدر تبرقان أملاً وهو يشهد معركة

الشعب مع الجلادين، فتمتم:

- الإسلام يحنّ حتى إلى هؤلاء

واختفى المشهد الفريد باختفاء الرجال .

وها هو الصدر يتشرب درساً من كربلاء. لقد علّمه
الحسين عليه السلام كيف يكون مظلوماً فينتصر.

وبين الفينة والأخرى كانت تأتي مبالغ من المال من
الذين آمنوا.

وكان الصدر يرفض ذلك. ف قيل له ألا تقبلها؟ أأست
محتاجاً يا سيدي وأيام الاحتجاز مريرة وربما تطول؟

- لقد رحل والدي في تلك الليلة، وما ترك لنا شيئاً
نقتات به. فبقيت مع والدتي وأخي المرحوم
إسماعيل وأمنة دون عشاء ..

وأنا الآن ليس بيني وبين لقاء ربّي إلا أن يأتي هؤلاء
ويقتلونني فأنتقل إلى جوار أجدادي .. فلم أدّخر
المال؟!!

إنّ ما قام به الإمام الصدر لا يخضع لمنطق السياسة،
ولا إلى أساليب الصراع. وسيبقى ذلك العمل جنونياً

إذا تجرّد عن عالم الغيب وعن بريق كربلاء.

فرجل مثل الإمام لا يمكن سبر أغواره وهو يتحدث
بلغة لا تستمد أبجديتها من عناصر التراب والأرض،
لكأنها مكتوبة بالدماء .. دماء الأنبياء.

لاءات في زمن الذلّ

لم يقل فرعون (أنا ربكم الأعلى) إلا بعد أن وجد من
يسجد له ويمجّد اسمه، ولم يوجد الاستعمار إلا بعد
أن سبقته قابلية للاستعمار، ولم تظهر النظم الدكتاتورية
إلا في المجتمعات الخائفة المهزومة من الأعماق.

إن البطش البعثي لم يولد من العدم. لم يظهر من
الفراغ لولا وجود أرضية تضجّ بالخنوع والذلّ والعبودية.
ولم يكن صدّام سوى انعكاس لمجتمع مثقل
بالضعة، وخالصة لعصر الانحطاط.

ومن هنا يبرز موقف الإمام الصدر كبطولة نادرة
المثال إذا ما وضعت في ظروفها المريرة التي لا يمكن
تصوير أهوالها.

وعندما تركع أُمَّة بأسرها، فإنّ تمرّد فرد واحد سوف
ينتزع الإعجاب .. إعجاب الأصدقاء والأعداء معاً.

ومن أجل هذا تكلم رأس يحيى، وتحدّث رأس
الحسين. ومن أجل هذا ما يزال الصدر في ذروة
الحضور رغم غيابه.

في الظهيرة وقبل اسبوع من الكارثة، جاء رجلان
«خاقاني» و«تكريتي» .. جاءا من عند «النمرود» الذي
يقول:

- أنا أحيي وأميت!

جاءا يخوّفان رجلاً لا يعرف ما هو الخوف. جاءا
يخوّفانه بالموت؛ والموت لم يعد لديه منية بل أمنية.

جاءا يمنيانه بالحياة .. وما أُنْفَهها في زمن الذلّ .

قال «الخاقاني» بعد حديث طويل :

- لقد جئتك من عند صدام، أحمل معي خمسة شروط هي خمسة طرق للحياة، وسادسها الموت. فاختر لنفسك أحدها:

- أن تتخلّى عن تأييد الثورة في إيران وعن الخميني.
- أن تصدر بياناً تؤيد فيه بعض مواقف الحكومة حتى لو كان ذلك حل المسألة الكردية أو تأمين النفط.
- إصدار فتوى بتحريم الانتماء إلى حزب الدعوة.
- إلغاء فتوى حرمة الانتماء إلى حزب البعث.
- إجراء مقابلة مع مراسل صحيفة أجنبية أو عراقية والإجابة عن مسائل فقهية عادية.

قال الصدر وقد تأهّب للرحيل:

- فإذا لم أستجب؟

- كما قلت لك يا سيّدنا والله لقد سمعت صداماً
يقول: سوف أعدمه.

قال الصدر:

- إنّ كل ما كنت أطمح إليه في الحياة هو أن تقوم
حكومة للإسلام في الأرض، ولقد تحقّق ذلك. والآن
فإنّ الموت والحياة عندي سواء.
أمّا التأييد لبعض المواقف فلا.
وأما حزب الدعوة فلا أحرم الانتماء إليه.
وأما حزب البعث فلا أُجيز الانتماء إليه.
وأما المقابلة فلا.

والتفت الصدر إلى رجل تكريتي أذهلته لاءات
عجيبة.

- أخبر صداماً أنّه في أي وقت يريد إعدامي
فليفعل.

العراقيون وبعض سكان شرق المتوسط يعرفون ماذا يعني «رجل الأمن». إنه ذئب في أهاب إنسان، وحش بشري له عيون زجاجية وقلب منحوت من ثلوج سيبيريا. في أعماق هذا المخلوق المخيف يوجد إنسان ضئيل مغيب في الظلمات مقيد بالسلاسل والأغلال.

ترى كيف تمكّن الصدر وفي لحظة أن يحطم أنياب الذئب، وأن يحزّر الإنسان في الأعماق المظلمة لتدمع العينان الزجاجيتان.

لو كانت هناك أجهزة يمكنها رصد ما يجري في أعماق النفوس لسجّلت انهيارات مدوية ولسمعت أصداء الأنقاض وهي تتراكم بعضها فوق بعض.

هتف التكريتي وهويبكي:

- حيف والله حيف!!

ونفض ليقبّل يداً تشير إلى طريق لا يسلكه أحد من

العالمين.

رؤيا

عندما يغمض المرء عينيه عن الدنيا، فإنّهما تفتحان على عالم آخر.. عالم لا يمتّ إلى هذا العالم بصلة، وتشتدّ درجة الرؤية، حتى لتصل أحياناً مرحلة الشهود الكامل وكشف الغطاء، فإذا البصر حديد. لقد أذفت ساعة الرحيل، وهذه إشارة من العالم الآخر. وقال الصدن:

- رأيت «إسماعيل» و «آل ياسين» جالسين
وبينهما كرسيّ خال هولّي، وكان هناك ملايين
الناس ينتظرون.

وتمتم الإمام وهو يروي رؤياه:

- وأنا أبشّر نفسي بالشهادة.

جريمة في بغداد

اهتزّ العراق من أقصاه إلى أقصاه إثر سقوط أعتى عروش الشرق الأوسط، وانتصار الثورة الإسلامية، وبدا الشعب العراقي يهتّزّ طرباً على أناشيد حماسية .. هنا طهران صوت الثورة الإسلامية.

ومنذ ذلك التاريخ شهد العراق تغيّرات كبرى .. جاءت سريعة ومثيرة.

فقد تمّت تنحية البكر عن الرئاسة .. وظهر صدام الحاكم المطلق .. ولم تكد تمضي أسابيع حتى استيقظ الشعب العراقي على مسلسل الإعدامات الجماعية التي بدأت بشخصيات حزب البعث ممّن تشمّ منهم رائحة الاستقلال .. إنها إرادة النمرود الذي يزعم: إنّه يُحيي ويُميت. وفي آب تساقطت رؤوس واحد وعشرين بعثياً .. وظهر صدام كوحش مصّاص

للدماء، وُسْمِعَ يقول: والله لو وقفت زوجتي وأبنائي في
طريقي لأذبتهم بالتيزاب!

وبدأ عصر الرعب، وانتشرت رائحة الدم، وسادت
ظاهرة ارتداء ثياب الحداد؛ والشباب المسلم يساق
إلى أعواد المشانق زرافات زرافات ..

وإذا كان معاوية يدس السم في العسل ويقتل
معارضيه، فإنّ جلاّد بغداد بدأ يضع سمّ الفئران في
اللبن. وكان الذين يطلق سراحهم من السجن يموتون
بين أبنائهم وأهليهم، بعد أن ضجّ الجلاّدون من حدّة
الإعدامات.

وفي هذا الزمن قال الصدر: لا.

لقد تضاربت الروايات حول الطريقة التي تمّت فيها
تصفية الإمام ولكن هناك ما يشبه الحقيقة .. وهي أن
صدّام لم يكن يتصوّر أن يقف في طريقه أحد؛ لهذا أراد

أن يتأكد بنفسه، فاستدعى الإمام إلى القصر الرئاسي وكان هناك طريقان .. إدانة الثورة في إيران أو الموت، ولم يتردد الإمام الصدر في الاختيار.

سأل الوحش: أي نوع من الموت تختار؟

فقال الإمام:

- أن أذبح كما ذُبح الحسين.

ولكن صدام كان يجهل مهنة جدّه الشمر، فأمر بقتل الإمام رمياً بالرصاص.

وخلع الإمام عمامته لمجابهة رصاص الجلّادين، وقام النمروذ بإطلاق الرصاص، وقتل الإمام.

الذين يعرفون سادية صدام يدركون الأحوال التي تعرّض لها الصدر قبل أن يستشهد. لقد أراد يزيد الجديد أن يقهر الحسين الكامن في الأعماق،

فاستخدم ألوان التعذيب . ولكن الروح العظيم كان
يشتد صلابة وعنفواناً . ولقد حانت لحظة الخلاص ..
الخلاص من ويلات الأرض ، وولوج العالم الآخر .

إنّ أحداً لن يحيط أو حتى يدرك سرّ الإنسان وهو
يتأهب لدخول ملكوت السماء؛ وهؤلاء الذين شهدوا
اللحظات الأخيرة قبل مصرع الإمام وقد اعترتهم
الرجفة . رغم ولوغهم في الدماء . قد رأوا شيئاً جعلهم
يعجزون عن تنفيذ الجريمة فنقذها صدام .

«وكان قتل الإمام الصدر يعني أنه لم يعد هناك
حياء، ولم تعد هناك حدود، ولم يعد هناك معقول ولا
معقول، ولم يعد هناك ما تتوقعه وما لا تتوقعه .. كلّ
حرمات الشعب العراقي مستباحة ومهتوكة تحت
سنانك حصان الغازي صدام»^(١) .

١- يوميات بغداد صافي ناز كاظم

أرأيت كيف يعيد التاريخ نفسه؟ اصغ إلى السبط
وهو يسبر الآفاق في عاشوراء:

- يا أُمَّة السوء بئسما خلفتم محمّداً في عترته. أما
إنّكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله بل يهون
عليكم ذلك عند قتلكم إياي.

ولقد صدقت نبوءة ابن النبيّ فاجتاحت جيوش يزيد
المدينة وقتل صحابة كانوا حول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وانتهكت
ألف عذراء ..

وبعد مذبحه الحرّة حوصرت مكّة وقصفت الكعبة
بالمجانيق وأُحرقت، فلم يعد هناك حياء.

وأعقب مصرع الصدر خوف ورعب، ونُفذت
إعدامات جماعية، وباتت كلّ الأسر العراقية خائفة
تترقّب.

وإذا كان يزيد قد اجتاح المدينة وأهلك الحرث

والنسل وحاصر مكة وأحرق بيت الله الحرام، فإن صدام بدأ عدوانه الشامل ضد إيران .. إيران الخميني التي أعلنت نفسها دولة من دول المواجهة مع إسرائيل . وكان الغزو البعثي بداية لسلسلة من المآسي ما تزال مستمرة حتى اليوم .

إن اللحظة التي اعتلى فيها الشمر صدر الحسين هي لحظة رهيبة تزلزلت لها الأرض، ومطرت لها السماء دماً عبيطاً .

الإنسان هو جزء من الكون إذالم يكن خلاصته كله، وإن كل ما يجري في التاريخ الإنساني الطويل لابد وأن تكون له آثاره الكونية سلباً أو إيجاباً .

إنني أسجل هذه السطور لمن يصدق أو لا يصدق لأنني لا أريد أن أقرر ظاهرة علمية بقدر ما أسجل واحدة من مشاهداتي التي ظلت محفورة في ذاكرتي

إلى اليوم.

كنت حينها في ضواحي «كركوك» شمال العراق، وكان الوقت عصراً وقد بدا الجو مشحوناً.. متوتراً.. وشيئاً فشيئاً سادت صفرة كثيفة، اشتدت لتحوّل إلى حمرة مخيفة، والغبار يغمر الأرض دون رياح حتى تعذرت الرؤية لأبعد من أربعة أمتار، وساد الوجوم والخوف الوجوه، وأدّى بعضهم صلاة الآيات، وتساءل رجل بصوت يشوبه الحزن: أتراهم قتلوا سيّداً؟!

ولقد ظلّ هذا التساؤل أيّاماً حتى ظهرت الحقيقة.

نعم لقد قتلوا سيّداً وحصوراً.

لقد بايع سكّان المدينة بعد الاجتياح على أنّهم عبيد ليزيد، وكان ذلك نتيجة لمصرع الحسين عليه السلام الذي كان يمثّل كرامة الإسلام والإنسان.

واستسلم العراقيون إلا قليلاً لإرادة صدام، وقد حدث

ذلك بعد مصرع الصدر، وقد كان يمثل كرامة الشعب العراقي بأسره.

سوف تمرّ الأيام؛ ويجري نهر الزمن. لقد غاب الصدر، وسوف يموت جلّاده، وستنطوي صفحات التاريخ، الواحدة تلو الأخرى، وسيأتي من يقرأ عن رجل قال: لا، في زمن الذلّ، فدفع حياته ثمناً لذلك.

ستكتب قصة فريدة من قصص التمرد لرجل نهض لوحده يقاتل نظاماً مدججاً بأسلحة الدمار والموت، ولم ينهض معه سوى امرأة اسمها آمنة.

زينب العصر

سوف يبقى الحديث عن ملحمة الصدر مبتوراً إذا لم يتكامل مع شخصية بنت الهدى التي وقفت إلى جانب أخيها حتى اللحظات الأخيرة من عمره ومن عمرها، وهي التي قالت مرّة:

- إنَّ حياتي من حياة أخي، وسوف تنتهي مع حياته.

وللمرء أن يتصوّر تلك الليلة التي رحل فيها الأب تاركاً صغيرين ولدًا وبنثًا، ولم يكن للأسرة في تلك الليلة الموحشة شيئاً يتعشّون به، وربّما كانت الطفلة التي فتحت عينيها في نفس العام الذي أغمض فيه أبوها عينيّه تبحث عن دفء مفقود، ولعلّ «محمد باقر» الذي كشفت الأيام عن قلب يموج بالعاطفة والحبّ لكلّ الناس قد ضمّ إليه شقيقته يحنو عليها بعد قسوة الدهر.

ومنذ تلك اللحظة لم تفارق آمنة أخاها في رحلة طويلة امتدّت لتناهز نصف قرن من الزمن.

ولقد ظلّ ذكر الصدر مقروناً ببنت الهدى في الحياة والثورة والمقاومة وفي ذمّة الخلود.

ولاننسى أن نشير هنا إلى أن الإمام الشهيد قد اقترن بابنة عمّه، وهي شقيقة الإمام موسى الصدر^(١) وله منها

١- ولد موسى الصدر في مدينة قم عام ١٩٢٨م وتلقّى علومه الابتدائية والثانوية في مدارسها الحديثة، كما تلقى دراسات دينية في الفقه والمنطق، وتابع دراسته الجامعية في جامعة طهران. وكان أول رجل دين يدخل حرم الجامعة، وتخرّج من كليّة الحقوق، وأصبح أستاذاً في الفقه والمنطق في الحوزة الدينية بقم، وأسس خلال تلك الفترة مجلة «مكتب إسلام» (مدرسة الإسلام) وأدارها سنوات عديدة، وأصبحت أكبر مجلة دينية في إيران. هاجر إلى النجف وأقام فيها أربعة أعوام ودرس على أيدي مراجعها الكبار؛ وفي طبيعتهم السيد محسن الحكيم والشيخ محمّد رضا آل ياسين والسيد الخوئي. وفي عام ١٩٥٩م انتخب رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى في لبنان. وتلا ذلك إعلانه بأنّه يتحدّث باسم المحرومين من كلّ الطوائف اللبنانية. ولعلّ الإمام موسى الصدر أول عالم ديني يدخل الميدان السياسي بهذه الكثافة من التحرك. وكان من الطبيعي أن يثير ذلك حقد و غضب الآخرين، وسرعان ما تحوّل هذا إلى دسائس ومؤامرات واتهامات تناولت كلّ شيء في حياته حتى مسلكه الشخصي. وكان لشخصيته المحبوبة ودماثة أخلاقه وبساطته الأثر العميق في مشاريعه، حتى يمكن القول أنّ وجوده كان يمثّل عصراً جديداً للجنوب اللبناني بكلّ طوائفه. وقد كانت له علاقات طيّبة محلياً وإقليمياً باستثناء علاقته مع إسرائيل وبعث العراق التي انصفت بالتوتر الشديد، وكانت أول أزمة حدثت بين الإمام وحكومة البعث بعد إقدام نظام بغداد على إعدام «البصري» ورفاقه عام ١٩٧٤م بعد محاكمة صورية، وكان البعثيون قد صعّدوا من ممارساتهم التخريبية في لبنان ممّا حدا بالصدر إلى مواجهتهم، وهو ما فجّر أزمة أخرى عنيفة حتى اختفائه في

بنات وولد اسمه جعفر.

ومن يريد أن يتحدّث أو يؤرّخ لبنت الهدى فهي خلاصة لحياة أخيها الكبير في الشخصية والفكرة وفي تلك الروح العظيمة إلا في ما يميّز المرأة عن الرجل يوم خلق الله حواء.

وإنك حينما تقف أمام هذه السيّدة فإنك تقف أمام مثال للمرأة الذي نحته الإسلام ونفخ فيه من روحه.

وإذا كان الصدر العظيم قد قارع الفكر الإلحادي فلسفياً واقتصادياً ورفع راية الانتصار الإسلامي في الميدانين معاً، فإنّ بنت الهدى راحت تضع لمسات المرأة السيّدة من أجل ميلاد المجتمع المنشود.

ظروف غامضة عام ١٩٧٨م. ولقد حامت الشبهات حول هذه الدولة أو تلك وهذا النظام أو ذلك، ولكن المرء لا يمكنه أن يغفل عن بعث العراق دون أن يوجّه له أصابع الاتهام، والزمن كفيل بكشف الحقائق، فالقمر لا يبقى خلف الغيوم إلى الأبد

ومن أجل هذا راحت تكتب قصصها الفريدة في فترة حساسة من تاريخ العراق. وإذا كانت هذه القصص لا تمت بصلة ما إلى الواقع، فإنها لتعبّر عن الحقيقة التي يراد لها التغييب والموت.

ويشهد الإقبال الهائل لاقتناء تلك القصص على ظمأ شديد لأمة تبحث عن هويتها.. عن معادلات اجتماعية بديلة. ولم يكن القراء ليلتفتون في تلك الحقبة إلى الجانب الفني بقدر ما كانوا يبحثون عن مجتمع ضائع أو عن هوية مفقودة.

ولسنا هنا في صدد نقد أو تقييم أدبي لتراث بنت الهدى؛ لأنه يبقى في مجال الترف الفكري، بينما كانت الشهيدة تقاتل في الخط الأول من جبهة الصراع الفكري المحترم آنذاك.

وهي ليست شهيدة فحسب، بل وشاهدة أيضاً.

ولعلها الوحيدة التي وعت مبكراً مخاطر الغزو الثقافي الذي استهدف جبهة حساسة ومصيرية، وهي المرأة العراقية.

ومن أراد أن يتصوّر الواقع النفسي والاجتماعي، والمعادلات السائدة وما كانت تهدف إليه بنت الهدى فما عليه إلا أن يطالع كتبها القصصية تلك بدءاً من: الخالة الضائعة. الفضيلة تنتصر. امرأتان ورجل. صراع من واقع الحياة. ليتني كنتُ أعلم. الباحثة عن الحقيقة وحتى كتابها ذكريات على تلال مكّة، وغيرها.

وهي في قصصها تحاول هزيمة المجتمع السائد فكراً عبر أبطالها تمهيداً لولادة المجتمع المنشود.

إن المرء ليقف مشدوهاً أمام سيّدة نسيت ذاتها تماماً؛ أو قل انصهرت في كلمة الله حتى لم تعد سوى المثال الذي أراده الإسلام للمرأة، وكأنّ أمّها يوم ولدتها

قالت: ربّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً فتقبل
مني إنك أنت السميع العليم فتقبلها ربّها بقبول حسن
وأنتها نباتاً حسناً.

وأول ما يلفت الأنظار خلوّ حياتها من رجل، لكأنّها
نظرت في طريقها الشائك فلم تجد رجلاً يقف إلى
جانبها، فمضت وحيدة لا تلوي على شيء.

وكان الله هو حجبها الأزلي الوحيد.. و«ما الدنيا إلا
ساعة شوق إلى لقائك، وما الحياة إلا ممر إلى فنائك،
وما العمر إلا لحظات كفاح من أجلك وفي سبيلك،
فاجعل حياتي ياربّ كلمة رضا واجعل روحي يا سيدي
خفقة أمل ورجاء»^(١).

لم يكن في حياتها رجل ولم تكن تصلح لرجل لا

١- ليتني كنت أعلم

لشيء إلا لأن الاستغراق مع الله غالب عليها^(١).

وها أنا أعلن تهيبتي عن ولوج هذا المحراب المقدس
في عالم رحب تضيع فيه الدنيا وتتلاشى .. عالم مليء
بالشموس والأقمار .. عالم يزخر بالنجوم.

وقبل الوداع أردد .. ودموعي تنهال كمطر حزين -
كلماتها وهي تخطو باتجاه الشهادة .. ميراث الأنبياء
وسيدات النساء:

أنا كنتُ أعلم أنّ درب

الحق بالأشواقِ حافل

خال من الريحان ينشر

عطره بين الجداول

لكنني أقدمت أفقوالسير

في خطو الأوائل

١- كلمة قالها الحسين عليه السلام يوم خطبت ابنته سكينه

فلطالما كان المجاهد

مفرداً بين الجحافل

ولطالما نصر الإله

جنوده وهم القلائل

فالحق يخلد في الوجود

وكلّ ما يعدوه زائل

سأظلّ أشدّ وباسم إسلامي

وأنكر كلّ باطل

قسماً وإن ملئ الطريق

بما يعيق السير قدما

قسماً وإن جهد الزمان

لكي يثبّط فيّ عزما

أو حاول الدهر الخؤون

بأن يريش إليّ سهما

وتفاعلت شتى الظروف

تكيُّلاً آلاماً وهماً

فترأمت سحب الهموم

بأفق فكري فادلهمًا

لن أنثني عمًا أروم

وإن غدت قدما مي تدمي

كلا، ولن أدع الجهاد

فغايتي أعلى وأسمى

إسلامنا أنت الحبيب

وكلّ صعب فيك سهل

ولأجل دعوتك العزيرة

علقم الأيام يحلو

لم يعمل شيء فوق اسمك

في الدنيا، فالحقّ يعلو

وتطبق الدنيا مبادئك

العظيمة وهي عدل

وسينصر الرحمن جند

الحق ما ساروا وحلوا

وأظلّ باسمك دائماً

أشدو فلا ألهو وأسلو

وإذا كان لإعدام «الإمام الصدر» ما يبّرّه في موازين
«البعث» فإن إعدام «بنت الهدى» سيبقى جريمة هذا
العصر، وانتهاكاً صارخاً لكلّ الشرائع البشرية على
الإطلاق، وإنّ مصرعها على هذا النحو المؤسف يعتبر
إدانة لهذا العصر الدنيء.

مرثية

خطاك أم ملاحمُ الزمن؟

وقلبك الكبير، أم عُصاة المِحْن؟

وحرُفك النديّ في مسيرة الصراع

ما تاه في دَوامة الضياع

يا راسماً في الدرب ألف .. ولم .. ولكن

ويا غريباً لف في رحلته الشراع

وودّع الأحباب والوطن

ما زال صوتك المدوي يملأ السماء

ما زال فيه الأمل المنشود والرجاء

ما زال في كلّ فم دعاء

ما زال في عينيك لون الحزن والبكاء

ما زال صوت منك كالنسيج

يَضجُّ في أودية (العراق) .. والشَّطآن .. والخليج

أمسٍ على قبرِكَ قد طافَ بي الخيالُ
 كأنَّ روحَ (الصدر)، في شِفاهِهِ سُؤالُ:
 من ذاك؟ وانشقَّتْ له الرمالُ

ولاح في وجهك لون الخلدِ من بعيدِ
 مَرَحِي! وَضَمَّكَ اشتياقُ الأمِّ للوليدِ
 كأنما (البصريّ) أرخى اليوم مقلتيه:
 يا فرحةَ اللِّقاءِ، واحتواك في يديه
 ألا سمعتَ الناعيَ الكبيرَ يومَ قال:
 ما أعظمَ البكاءَ في مواكبِ الرجالِ؟!

ما مِتَّ. أنتَ اليومَ في كلِّ فؤادِ نبضِ

أنت، وإن ودّعت هذي الأرض
 مازلت في القلوبِ والعُيونُ
 وأنت لن تمحوك من أرواحنا السنونُ
 وأنت رغم صرعة المَنونُ
 باق إلى أن يسقط الوثنُ
 يا واهباً من روحه الثَّمَنُ
 بلا.. ولم.. وَلَنْ^(١)

بيانات الثورة

وجّه الإمام الصدر ثلاث نداءات إلى الشعب
 العراقي؛ ولم تصل إلى آذان الأمة إلا بعد استشهاده.
 وعندما يصغي المرء إلى كلمات الإمام وهي تنساب
 حزينة معبرة فإنه لا بدّ وأن يدرك إنها لا تخاطب الجيل

١- جواد جميل، صدى الرفض والمشنقة

الحاضر بقدر ما هي موجّهة إلى ضمير الأجيال القادمة.
فالكلمات العميقة والأفكار العظيمة المترعة
بالعاطفة والحزن السماوي لرجل على وشك الرحيل
تعكس آخر محاولات هذا العظيم لهزّ الضمير المثقل
بالخوف، وبعث الإرادة في أوصال أمة مذعورة.

وها أنا أفرد لهذه النداءات الأوراق الأخيرة، لأنها
وثائق ثورة فريدة في التاريخ، كما أنّها ما تزال تشتعل
تمرداً، وما تزال تتوهّج في ضمير الجيل جذوراً خالدة
ستؤتي أكلها ولو بعد حين.

باقر الصدر ممّا سلاما

أي باغٍ سقاك الحِمّاما

أنت أيقظتنا كيف تغفو؟!

أنت أقسمت أن لن تناما

كيف تنأى بعيداً ولّمّا

!يبلغ المؤمنون المراما؟

فبكيناك دماً معاً سجاما

يطرد الثائرون الظلاما

ينتضي للطغاة حساما

قد أبيت الحياة مضاما

قد فقدناك زعيماً لا يجارى

غبت عنا سريعاً ولمّا

يا شهيداً قام فرداً

أنت كالسبط حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين.

أيُّها الشعب العراقي المسلم!

إنِّي أُخاطبك -أيُّها الشعب الحرّ الأبوي الكريم- وأنا
أشدُّ إيماناً بك، وبروحك الكبيرة، بتاريخك المجيد،
وأكثرهم اعتزازاً بما طفحت به قلوب أبنائك البررة من
مشاعر الحبِّ والولاء والبنوة للمرجعية، إذ تدفَّقوا إلى
أبيهم يؤكِّدون ولاءهم للإسلام، بنفوس ملؤها الغيرة
والحمية والتّقوى، يطلبون منِّي أن أظلَّ إلى جانبهم
أواسيهم وأعيش آلامهم عن قرب، لأنّها آلامي.

وإنِّي أودُّ أن أوكِّد لك -يا شعب آبائي وأجدادي- إنِّي
معك وفي أعماقك، ولن أتخلّى عنك في محنتك
وسأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الله من أجلك!

وأودّ أن أُؤكّد للمسؤولين: أنّ هذا الكبت الذي فُرض بقوّة الحديد والنّار على الشعب العراقيّ، فحرّمه من أبسط حقوقه وحرّياته في ممارسة شعائره الدّينية، لا يمكن أن يستمر، ولا يمكن أن يعالج دائماً بالقوّة والقمع.

إنّ القوّة لو كانت علاجاً حاسماً دائماً لبقى الفراغنة والجبابرة!

أسقطوا الأذان من الإذاعة فصبرنا! وأسقطوا صلاة الجمعة من الإذاعة فصبرنا! وطوّقوا شعائر الإمام الحسين ومنعوا القسم الأعظم منها فصبرنا! وحاصروا المساجد وملأوها أمنناً وعيوناً فصبرنا! وقاموا بحملات الإكراه على الانتماء إلى حزبهم فصبرنا! وقالوا: إنّها فترة انتقال يجب تجنيد الشعب فيها فصبرنا! ولكن إلى متى؟! إلى متى تستمرّ فترة الانتقال؟! إذا كانت فترة عشر سنين من الحكم لا تكفي لإيجاد الجوّ المناسب

لكي يختار الشعب العراقي طريقه؛ فأَيّ فترة تنتظرون لذلك؟!

وإذا كانت فترة عشرينين من الحكم المطلق لم تتح لكم. أيّها المسؤولون. إقناع الناس بالانتماء إلى حزبكم إلا عن طريق الإكراه، فماذا تأملون؟!

وإذا كانت السّلطة تريد أن تعرف الوجه الحقيقي للشعب العراقي فلتجمّد أجهزتها القمعية أسبوعاً واحداً فقط، ولتسمح للناس بأن يعبروا خلال أسبوع عمّا يريدون.

إنّي أُطالب باسمكم جميعاً؛ أُطالب بإطلاق حرية الشّعائر الدينيّة، وشعائر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وأُطالب باسمكم جميعاً: بإعادة الأذان وصلاة الجمعة، والشّعائر الإسلاميّة إلى الإذاعة.

وأطالب باسمكم جميعاً: بإيقاف حملات الإكراه على الانتساب إلى حزب البعث على كل المستويات. وأطالب باسم كرامة الإنسان: بالإفراج عن المعتقلين بصورة تعسفية، وإيقاف الاعتقال الكيفي الذي يجري بصورة منفصلة عن القضاء.

وأخيراً؛ أطلب باسمكم جميعاً، وباسم القيم التي تمثلونها: بفسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقية حقّه في تسيير شؤون البلاد، وذلك عن طريق إجراء انتخاب حرّ ينبثق عنه مجلس يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً.

وإنّي أعلم أنّ هذا الطلبات سوف تُكلّفني غالياً، وقد تكلفني حياتي، ولكن هذه الطلبات ليست طلب فرد ليموت بموته وإنّما هذه الطلبات هي مشاعر أمة وإرادة أمة، ولا يمكن أن تموت أمة تعيش في أعماقها

روح محمّد وعليّ، والصفوة من آل محمّد وأصحابه.
وإذا لم تستجب السلطة لهذه الطلبات، فإنّي أدعو
أبناء الشعب العراقي الأبّي إلى المواصلة في حمل هذه
الطلبات، مهما كلفه ذلك من ثمن؛ لأنّ هذا دفاع عن
النفس وعن الكرامة، وعن الإسلام رسالة الله الخالدة،
والله وليّ التوفيق.

٢٠ / رجب / ١٣٩٩ هـ

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة على محمّد
وعلى آله وصحبه الميامين.

يا شعبي العراقيّ العزيز!

أيّها الشّعب العظيم!

إنّي أُخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك
وحياتك الجهادية، بكلّ فئاتك وطوائفك: بعربك
وأكرادك، بسنتك وشيعتك؛ لأنّ المحنة لا تخصّ
مذهباً دون آخر، ولا قوميّة دون أخرى، وكما أنّ المحنة
هي محنة كلّ الشّعب العراقيّ، فيجب أن يكون
الموقف الجهاديّ، والرّد البطوليّ، والتلاحم النضاليّ،
هو واقع كلّ الشّعب العراقيّ.

وإنّي منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه
الأمة، بذلت هذا الوجود من أجل الشّيعي والسّني

على السّواء، ومن أجل العربيّ والكرديّ على السّواء،
حيث دافعت عن الرّسالة التي توخّدهم جميعاً، وعن
العقيدة التي تضمهم جميعاً، ولم أعش بفكري وكياني
إلا للإسلام: طريق الخلاص وهدف الجميع.

فأنا معك يا أخي وولدي السنّي! بقدر ما أنا معك
يا أخي وولدي الشيعي! أنا معكما بقدر ما أنتما مع
الإسلام؛ وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم
لإنقاذ العراق من كابوس التسلّط والذلّ والاضطهاد.

إنّ الطاغوت وأولياءه، يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا
البررة من السنّة: أنّ المسألة مسألة شيعة وسنّة،
ليفصلوا السنّة عن معركتهم الحقيقية ضدّ العدو
المشترك.

وأريد أن أقولها لكم. يا أبناء عليّ والحسين، وأبناء
أبي بكر وعمر: إنّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم

السني.

إنّ الحكم السنّي الذي مثله الخلفاء الراشدون،
والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل
عليّ السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب
الردّة تحت لواء الخليفة الأوّل (أبي بكر)، وكلّنا نحارب
عن راية الإسلام، وتحت راية الإسلام، مهما كان لونها
المذهبي.

إنّ الحكم السنّي الذي يحمل راية الإسلام قد أفتى
علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من
أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم
رخيصةً من أجل الحفاظ على راية الإسلام، ومن أجل
حماية الحكم السنّي الذي كان يقوم على أساس
الإسلام.

إنّ الحكم الواقع اليوم ليس حكماً سنياً، وإن كانت

الفئة المتسلطة تنتسب تاريخياً إلى التسنن.

إنّ الحكم السنّي لا يعني حكم شخص ولد من أبوين سنّيين، بل يعني حكم أبي بكر وعمر، الذي تحدّاه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كلّ تصرّفاتهم، فهم ينتهكون حرمة الإسلام وحرمة عليّ وعمر معاً في كلّ يوم، وفي كلّ خطوة من خطواتهم الإجرامية.

ألا ترون -يا أولادي وإخواني- أنّهم أسقطوا الشعائر الدينية التي دافع عنها عليّ وعمر معاً؟!!

ألا ترون أنّهم ملأوا البلاد بالخمور، وحقّوا الخنازير، وكلّ وسائل المجون والفساد التي حاربها عليّ وعمر معاً؟!!

ألا ترون أنّهم يمارسون أشدّ ألوان الظلم والطغيان تجاه كلّ فئات الشعب؟! ويزدادون يوماً بعد يوم حقداً على الشعب، وتفتننا في امتهان كرامته والانفصال

عنه، والاعتصام ضده في مقاصرهم المحاطة بقوى الأمن والمخابرات، بينما كان عليّ وعمر يعيشان مع الناس وللتاس وفي وسط الناس ومع الآمهم وآمالهم.

ألا ترون إلى احتكار هؤلاء للسلطة احتكاراً عشائرياً، يسبغون عليه طابع الحزب زوراً وبهتاناً؟! وسدّ هؤلاء أبواب التقدّم أمام كلّ جماهير الشعب سوى أولئك الذين رضوا لأنفسهم بالذلّ والخنوع، وباعوا كرامتهم وتحوّلوا إلى عبيد أذلاء.

إنّ هؤلاء المتسلّطين قد امتهنوا حتى كرامة حزب البعث العربيّ الاشتراكي، حيث عملوا من أجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تطلب الانضمام إليها والانتساب لها بالقوّة والإكراه، وإلّا فأيّ حزب حقيقيّ يحترم نفسه. في العالم. يُفرض الانتساب إليه بالقوّة؟! إنهم أحسّوا بالخوف حتّى من الحزب العربيّ

الاشتراكي نفسه الذي يدّعون تمثيله. أحسوا بالخوف منه إذا بقي حزباً حقيقياً له قواعده التي تبنيه، ولهذا أرادوا أن يهدموا قواعده، لتحويله إلى تجمع يقوم على أساس الإكراه والتعذيب ليفقد أيّ مضمون حقيقيّ له. يا إخواني وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة .. من أبناء بغداد وكربلاء والنجف .. من أبناء سامراء والكاظمية .. من أبناء العمارة والكوت والسليمانية .. من أبناء العراق في كلّ مكان، إنني أعاهدكم بأنّي لكم جميعاً، ومن أجلكم جميعاً، وأنكم جميعاً هدف في الحاضر والمستقبل .. فلتتوحد كلمتكم، ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام، ومن أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلّطة، وبناء عراق حرّ كريم، تغمره عدالة الإسلام، وتسوده كرامة الإنسان، ويشعر فيه المواطنون جميعاً. على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم

- بأنهم إخوة، يساهمون جميعاً في قيادة بلدهم وبناء
وطنهم، وتحقيق مثلهم الإسلاميّة العليا، المستمدّة
من رسالتنا الإسلامية وفجر تاريخنا العظيم. والسّلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف - محمد باقر الصدر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْمَيَامِينَ.

يا شعبي العراقيّ العزيز!

يا جماهير العراق المسلمة التي غضبت لدينها
وكرامتها، ولحريتها وعزّتها، ولكلّ ما آمنت به من قيم
ومثل! أيّها الشعب العظيم!

إنّك تتعرّض اليوم لمحنة هائلة، على يد السفّاكين
والجزّارين، الذين هالهم غضب الشعب وتململ
الجماهير، بعد أن قيّدوها بسلاسل من الحديد، ومن
الرّعب والإرهاب، وخيّل للسفّاكين أنّهم بذلك انتزعوا
من الجماهير شعورها بالعزّة والكرامة، وجردوها من
صلتها بعقيدتها ودينها وبمحمّدها العظيم، لكي
يحوّلوا هذه الملايين الشجاعة المؤمنة من أبناء العراق

الأبيّ إلى دُمي وآلات، يحركونها كيف يشاؤون، ويزقونها
ولاء (عقل) وأمثاله من عملاء التبشير والاستعمار،
بدلاً عن ولاء محمّد وعليّ صلوات الله عليهما.

ولكنّ الجماهير دائماً هي أقوى من الطغاة مهما
تفرعن الطغاة، وقد تصبر ولكنها لا تستسلم، وهكذا
فوجئ الطغاة بأن الشعب لا يزال ينبض بالحياة، ولا
تزال لديه القدرة على أن يقول كلمته! وهذا هو الذي
جعلهم يبادرون إلى القيام بهذه الحملات الهائلة على
عشرات الآلاف من المؤمنين والشرفاء من أبناء هذا
البلد الكريم، حملات السجن والاعتقال والتعذيب
والإعدام، وفي طليعتهم العلماء المجاهدون، الذين
يبلغني أنهم يستشهدون الواحد بعد الآخر تحت
سياط التعذيب!

وإنّي في الوقت الذي أدرك فيه عمق هذه المحنة

التي تمربك يا شعبي! يا شعب آبائي وأجدادي، أو من
بأن استشهاد هؤلاء العلماء، واستشهاد خيرة شبابك
الطاهرين وأبنائك الغيارى تحت سياط العفالقة،
لن يزيدك إلا صموداً وتصميماً على المضي في هذا
الطريق، حتى الشهادة أو النصر!

وأنا أعلن لكم - يا أبنائي - أنني صممتُ على
الشهادة! ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه مني، وإن أبواب
الجنة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء؛ حتى
يكتب الله لكم النصر! وما ألدّ الشهادة التي قال عنها
رسول الله ﷺ: إنها حسنة لا تضرّ معها سيئة. والشهيد
بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت.

فعلى كل مسلم في العراق، وعلى كلّ عراقي في
خارج العراق: أن يعمل كلّ ما بوسعه - ولو كلفه ذلك
حياته - من أجل إدامة الجهاد والنضال لإزالة هذا

الكابوس عن صدر العراق الحبيب، وتحريره من
العصاة اللإنسانية، وتوفير حكم صالح فذّ شريف،
يقوم على أساس الإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٠ شعبان

محمد باقر الصدر

إنا لله وإنا إليه راجعون

«تأكد وببالغ الأسف وحسبما أفادته تقارير وزارة الخارجية ومصادر أخرى .. أنّ السيّد محمّد باقر الصدر وشقيقته المكرّمة المظلومة والتي كانت من أساتذة العلم والأخلاق والأدب قد نالا درجة الشهادة الرفيعة على أيدي النظام البعثي المنحطّ وبصورة فجیعة».

«الشهادة تراث ناله أمثال هؤلاء العظماء من أوليائهم، والجريمة تراث ناله هؤلاء جناة التاريخ من أسلافهم».

«ولا عجب لشهادة هؤلاء العظماء الذين أمضوا عمرهم في الجهاد، على أيدي جنّاة قضوا حياتهم بامتصاص الدماء، وإنّما العجب هو أن يموت المجاهدون في الفراش دون أن تتلّخ أيدي الجنّاة بدمائهم الطاهرة».

«وها أنا أعلن الحداد العام ثلاثة أيّام وأُعلن غداً
الخميس عطلة عامّة في البلاد».

فقرات من بيان الإمام الخميني بعد مصرع الشهيد
محمّد باقر الصّدر

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجال صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
 ٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
 ٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخرراوي
- ### سلسلة نهج الولاية:

١. سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد قاسم سليمان
٢. العبد الصالح، الإمام الخامنئي
٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي
٤. الاستغفار والتوبة
٥. العمل المؤسسي في فكر الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب

حسين

٢. يسألونك عن عاشوراء، محمد فخرأوي
٣. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد
٤. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب

حسين

٥. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٦. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

سلسلة تاريخ البحرين:

١. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
 ٢. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
 ٣. الإبادة الثقافية في البحرين
 ٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح
- كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:
١. رسول الرحمة

٢. الإسلام والعلمانية
٣. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٤. القدس صرخة حق
٥. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
٦. رؤية إسلامية حول الغربية والاعتراب
٧. كلمة الأستاذ في الذكرى الثامنة عشر للسيد أحمد الغريفي
٨. كلمة الأستاذ في استقبال شهر رمضان
٩. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١٠. الدولة والحكومة
١١. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٣. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٤. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. الحسين يولد من جديد، محطات من حياة الإمام الشهيد الصدر، كمال السيد (هذا الكتاب)

- ٢ . قافلة الخلود - شهداء البحرين
- ٣ . عاشوراء البحرين 2019
- ٤ . كتيب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
- ٥ . عاشوراء البحرين 2018
- ٦ . الإبادة الثقافية في البحرين
- ٧ . حصاد البحرين 2017
- ٨ . عاشوراء البحرين 2017
- ٩ . ذكرى استقلال البحرين بين الحقيقة والاحتلال البديل
- ١٠ . في رحاب مدرسة الإمام الخميني عليه السلام
- ١١ . المهدوية في الفكر الولائي
- ١٢ . الحصاد السياسي 2016
- ١٣ . بريطانيا: تاريخ من الاحتلال والدعاء لشعب البحرين
- ١٤ . ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

- ١٥ . ثورة 14 فبراير في البحرين خلفياتها ومجرياتها
 ١٦ . شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين
 وعذاباتهم

كتب باللغة الفارسية:

- ١ . تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ
 زهير عاشور
 ٢ . بازخوانی خطبه های امام حسين (قراءة في
 بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة
 عبد الوهاب حسين
 ٣ . بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)،
 أستاذ البصيرة عبد الوهاب حسين
 ٤ . رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
 ٥ . گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة
 المعتقلين وعذاباتهم
 ٦ . تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ
 الأسود)

الحسين بن علي بن جابر

وحده الصدر كان يقاتل .. تسكن في أعماقه
ثورة وتبرق في عينيه رؤى كربلاء .. يوم كان
الحسين (ع) يقاتل وحيداً وكانت الأمة تمجد
عجلاً اسمه يزيد، وكان على الحسين أن يُذبح
ليوقظ بدمائه التاريخ والحضارة والإنسانية.